لمحة عن

الأحجار الكريمة والجواهر القديمة ونماذجها في المتحف الوطني

للأستاذ بشير زهدي

محافظ آثار العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية

محاضر في جامعة دمشق

احتفظت أرضنا الطيبة — عبر التاريخ — بالأحجار الكريمة والجواهر القديمة والتحف الأخرى المختلفة ، وأخفتها عن عيون اللصوص المخربين ، والغزاة الطامعين ، ثم كافأت بها المنقبين من مواطنين مخلصين ، وعلماء مختصين ، فجعلتها بمثابة هدية ثمينة من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد الذين اكتشفوها في مختلف بقاع وطننا (وأخص بالذكر منها : صالحية الفرات وحلب ، وجبل سمعان والمعرة ، وحمص وحماه ، ودمشق وغوطتها ، وطفس وتسيل ، والعال وخسفين ، وبصرى والسويداء ...) .

وبفضل وعي المواطنين ، وحرصهم على حفظ آثار بلادهم في متاحفهم الوطنية — التي يحرص المسؤولون على اغنائها وزيادة عددها — فقد تشكلت في المتحف الوطني بدمشق مجموعة هامة (من الياقوت والعقيق ، واللؤلؤ والزمرد ، والسفير والبشب ، والجذع وعين الهر ، والسليماني والكريستال) يزيد عددها عن اربعمائة قطعة بعضها مازال يرصع الحلي المختلفة

(من خواتم ذهبية وفضية ونحاسية . وأقراط ومشابك وعقود وأطواق وأساور . .) وبعضها وصل إلينا منفصلاً يبدو كأنه يحدث الزائرين المعاصرين عن حضارات الغابرين ، ويعبر عن الخلود بلغة الجمال الفني في إطاره التاريخي .

وإن أهمية هذه المجموعة دفعتني إلى دراستها للتعريف بها ، ولفت الأنظار إليها ، والإسهام في نشر المعرفة التاريخية ، والثقافة الفنية في بلادنا ، سيما ونحن في عصر تشرق فيه من جديد شمس حضارة عربية تشمل مختلف ميادين الإبداع .

ولكن عدم توفر المراجع العلمية الرئيسية الكافية أضف إلى ذلك مختلف الأسباب الأخرى التي لامجال لذكرها مما يجعلني أرجو القارىء الكريم أن يعتبر هذا البحث بمثابة محاولة متواضعة تهدف إلى اعطائه (لمحة عن الأحجار الكريمة والجواهر القديمة ونماذجها في المتحف الوطني بدمشق) .

أهمية دراسة الأحجار الكريمة والجواهر القديمة

لدراسة الأحجار الكريمة والجواهر القديمة أهمية خاصة لأنها متعلقة باعتقادات الانسان بفوائدها الطبية والسحرية ، أضف إلى ذلك قيمتها الجمالية والمادية ، والفنية والتاريخية .

١ ـ اعتقادات الانسان القديم بالجواهر والأحجار الكريمة : منذ عصر الكهوف والمغاور تخيل الانسان الوجود مملوءاً بالأخطار ، واعتبر الموت بمثابة مأساة أبدية ومصير حتمي ، فعانى من ذلك باستمرار كابوس الخوف والقلق ، مما جعله يفكر في حماية نفسه ، والبحث عما يحفظ له حياته ، ويتحدى المخاوف والأخطار ، ويبدد الهواجس والقلق بعد ما تبين له بأنه لئن كان ضعيفاً فإنه موهوب (١) ، استطاع بالحصى والحجارة أن يطرد الحيوانات ويصنع من الحجارة أدواته الصوانية ، ثم أخذ يختار ويميز أنواعها ، ويختبر ويتعرف على خواصها ، ويتأمل وينجذب نحو ألوانها ، ويستغرق ويفكر في تاريخ نشأتها ، وحقيقة فوائدها . فوصلت به تأملاته وتخيلاته إلى اعتبار ألوانها رموزاً لقواها السحرية ، وشارات لمعجزاتها الخارقة ،

(1) Nicolas et Andrée Metta : Les pierres precieuses P. U. F. 1960 . P. 5

والجاءات لفوائدها الطبية . . . ثم أخذ الانسـان يؤمن بأن في بعضها مايمنع الموت ويطيل الحياة ، ويبدد الخوف أمام الحكام ، ويورث الخيلاء ويزيد من الهيبة أمام الآخرين ، ويشلّ تأثير العيون المؤذية ، ويحرك الشبق ، ويجعل العاقر تلد (١) ، والمريض يشفى ، والثعابين تنهزم ، والجن تختفي ، والاحلام السيئة تزول ، والأمطـار تهطل (٢) . . . وغير ذلك من الاعتقادات الساذجة التي جعلت الانسان يؤمن بخصائص الجواهر والأحجار الكريمة ، ويولع بها ، ويبحث عنها ، ويحرص عليها ، ويعتقد بمفعولها كيقين بحقيقة لاشك فيها ، وهذا مايفسر اعتباره لها كـ « قطع من الخلود » ، وإن حملها أو اقتناءها أو مجرد وجودها من شأنه أن يغيّر اتجاه مصير الانسان في هذا الوجود .

وأبدع خياله في خلق صلة بين هذه الأحجار وتأثيراتها إلى درجة جعلته يعتقد بأن الحجر الحليبي اللون من شأنه أن يخلق الوئام بين المحبين ، وان وضع الياقوت بالفم يفرح القلب ، وان الفيروز يدفع الصواعق ويقوي القلب ، والزمرد يحمي الفضيلة ، وعين الهر يمزق عيون الحاسدين ، والمرجان يمنح الحياة (٣) والسفير يحول دون الشقاء ، والكريستال يجعل الاحلام جميلة ، وان الشرب بأواني الجمشت يبطىء غيبوبة الخمر ...

وبلغ من ايمان الانسان بأهمية ألوانهـا ماجعله يختار لكل يوم (٤) من أيام الأسبوع لوناً من ألوانها ونوعاً من أنواعها ، وبالغ في اعتقاده بأهميتها في اطالة العمر فأخذ يلتهم بعضها (٥) .

واعتقد بوجود ملاك في كل منها ، واكتشف المقارنة بين بريقها وتلألؤ النجوم ، مما جعله يعتقد بوجود علاقات خفية بينها وبين الأفلاك والابراج السماوية (٦) .

---

(١) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة . المطبعة العصرية ص ١١٨ .

(٢) Etienne Coche de La ferté : Les Bijoux Antiques . P. U. De France 1956 p. 24

(٣) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة . المطبعة العصرية .

(٤) N. et A. Metta : P. 97

(٥) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة المطبعة العصرية ص ٣٤٠ .

(٦) N. et . A. Metta : 97 — 98

ورأى في خصائص الجواهر والاحجار الكريمة ما يغني المعرفة الرمزية ، فالياقوت يتميز بالصفاء لهذا كان يرصع به خاتم الخطوبة ، ولكنه يتميز أيضاً بالصلابة لهذا فقد جعلته الميثولوجيا رمزاً لقضاة جهنم . ويتميز (اللعل) باللون الأحمر لهذا فقد جعل رمزاً للحب (١) يسهم في نسيان الأحزان العاطفية ، كما جعل (السفير)(٢) رمزاً للحكمة والتعقل ، وان من شأنه أن ينقل إلى القلب الجرأة والشجاعة والثبات ، ويحمي من غضب الآلهة ، وهـذا ما جعله يعتبر بمثابة الحجر الرهباني . واعتبر الجمشت حجراً مباركاً يرمز إلى الصفاء وسلامة القلب (٣) والضياء الفكري اذ أنه يحمي من غيبوبة الخمر وأذى السحر ، ويطرد النعاس والشرود ، كما اعتبر الزبرجد رمزاً للصداقة .

ولكل شعب رأيه واعتقاداته المتعلقة بتاريخ نشأة الجواهر الكريمة . وعلى سبيل المثال نذكر أن الصينيين اعتقدوا بأن أول الخليقة هو (بان كو) (٤) وان نخاعه تحول إلى لآلىء وأحجار كريمة . واعتقد الاغريق بان الصخرة التي علق عليهـا (بروميثية) قد انفصلت منها قطعة رائعة فحملت كفص خاتم . . (٥) .

٢ ـ **القيمة الجمالية للجواهر والاحجار الكريمة** : منذ بدأ ظهور المجتمعات الأولى ، ادرك الانسان أن الطبيعة قدمت إليـه عناصر ذات ألوان جذابة ، وسطوح ملساء ومظهر براق ، فاستحسن التزين والتجمل بها . فأخذ الزعماء والرؤساء الروحيون يتجملون بها لتميزهم عن بقية أبناء مجتمعهم ، ولتبعث احترامهم في نفوسهم (٦) . ولا شك أن ندرتها واستحالة امكانية تقليدها مما اسهم في استئثارهم بها وحصرها فيهم ، فأضفى عليها خيالهم ما شاؤوا من خصائص وصفات رمزية .

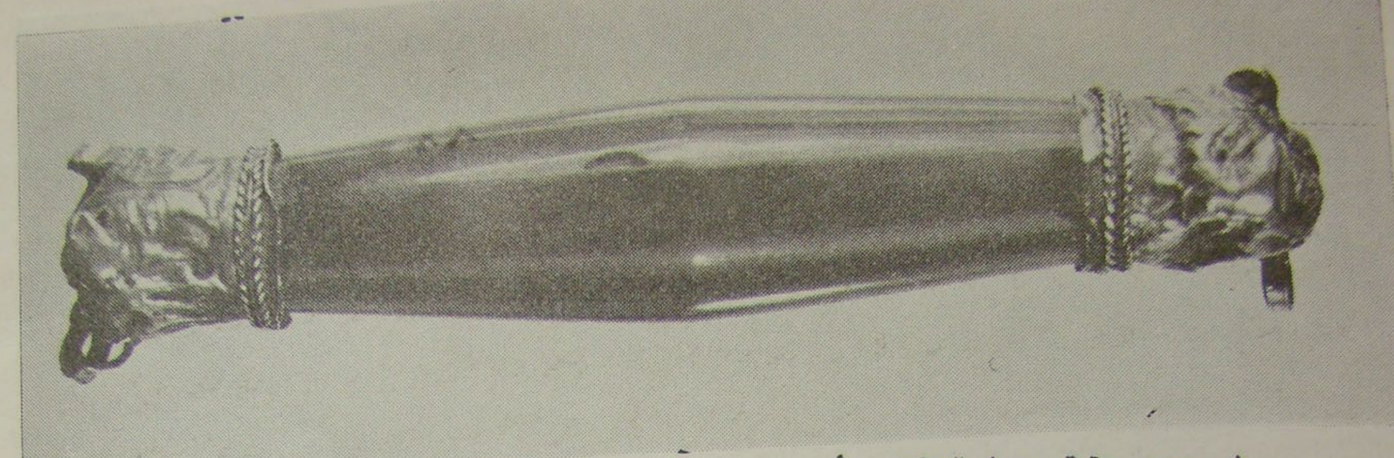
(١ ـ ٢) N. et . A. Metta : 99

(٣) N. et . A. Metta : 100

(٤) ولتر فير سيرفيس : اصول الحضارة الشرقية ، ترجمة رمزي يسي ، مراجعة الدكتور انور عبد العليم ، الناشر دار الكرنك مصر ١٩٦٠ ص ١٢٥ .

(٥) E . Coche de la Ferté : Les Bijoux Antiques . P. U. F. 1956 P. 24

(٦) N . et A. Metta : Les Pierres Precieuses . P. U. F. 1960 , P. 6 .



١ — حجر عقيق مغزلي الشكل ، أحمر اللون تزين نهايتيه وريقتان ذهبيتان لهما شكل رأس أسد
(الطول ٨٫٤ سم) . (محفوظ في المتحف الوطني بدمشق . رقمه ٣٣٠٢) .

٢ — مشبك ذهبي مرصع بثلاثة عشر حجر سيلاني مختلفة الحجوم والاشكال
وأربعة أحجار زمرد صغيرة اكتشف في منطقة حماة



٣ ـ أجمل الأحجار الكريمة المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق وأكبرها حجماً نقش عليه مشهد سيبيل على الأسد

(رقم السجل ٣٥٠٦)

٤ ـ مجموعة من روائع فن النقش على الأحجار الكريمة المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق



٥ ـ مجموعة من الأحجار الكريمة ذات الصور النافرة (محفوظة في المتحف الوطني بدمشق)



– مجموعة من الحلي الذهبية المرصعة بأحجار العقيق التي نقشت عليها مشاهد ميثولوجية
(محفوظة في المتحف الوطني بدمشق)



٨ – نسخ الصور الميثولوجية المنقوشة على الأحجار الكريمة
المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق

ولكن العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية أدت فيما بعد إلى تمكن الأغنياء من اقتناء الجواهر والاحجار الكريمة والتجمل بها . ثم غدت عادة التزين بها ضرورة من الضرورات الاجتماعية وتقليداً من التقاليد المحلية ، ومظهراً من مظاهر الذوق وحب الجمال ، إذ أنها تثير الغبطة الجمالية ، وتوقظ الحس البديعي ، وتعبر عن الذوق الذاتي . فقد وجدت النساء في ألوان الجواهر والاحجار الكريمة وسيلة لابراز جمالهن ، وزيادة اغرائهن ، وتقوية لشخصياتهن ، وتلبية لرغبتهن في الجمع . وقد حفظ التاريخ أسماء ملكات - كالملكة بلقيس - اشتهرن بمجموعاتهن النادرة من الجواهر والأحجار الكريمة .

ولا شك أن كثرة اكتشافها في خزائن الملوك والأمراء ، والقواد والاغنياء أو في قبورهم مما يدل على مدى اهتمام القدماء بها ، وحرصهم على اغنائها باستمرار لتلبي رغبتهم في رؤية الجمال ، والتمتع بسحر الألوان ، أضف إلى ذلك تفكيرهم الوقائي من المخاوف ، وشعورهم بلذة التملك والجمع .

٣ - فن النقش على الجواهر والأحجار الكريمة : وجد الانسان أن عليه أن يتمم ما كان على الطبيعة أن تقوم به ليجعل عناصرها على نحو مايجب أن تكون عليه وذلك بعد ما زاد وعيه الجمالي ، وتنبه حسه البديعي . فقام بمحاولات كثيرة تتعلق بقطع الجواهر والأحجار الكريمة ثم نقشها مما زاد في قيمتها المادية ، وجعلها عملاً فنياً يدل على ذوقه وثقافته ، ودقته ومهارته ، ولا عجب في ذلك أليس الانسان هو « الانسان الصانع Homo Faber » . ورغم بساطة أدوات ذلك الفنان القديم فقد ترك لنا روائع فنية ذات قيمة تاريخية ووثائقية ، ودينية وجمالية . ويعتقد روستوفتزف بان « الشرق كان لايزال يقوم بدور رئيسي في حياة الصناعة » وذكر من فروعها « الجواهر المنقوشة » ومن أهم المواضيع التي وصلتنا منقوشة على الأحجار الكريمة هي ١ - المواضيع الميثولوجية (زيوس ، هيرا ، ابولون ، افروديت ، ايروس ، تيكه ، اثينا بارثينوس ، هركول ، بان ، ارتميس ، مارس ، ربات الفنون ، إحدى اتباع باخوس ...) ٢ - صور ملوك وقواد (اسكندر، سلوقس نيكاتور ، ديمتريوس بوليورسيت ، بطليموس الثاني فيلادلف وزوجه ارسينوه ، اومين الثاني ملك برجام ، شيشرون ...) ٣ - صور حيوانات

المفضلة (النسر ، الثور ، البقرة ، البوم ، السمكة ، الافعى ، الثعبان ، السلحفاة ، مشهد أسد ينقض على فريسته ، ديك بطة ...) ٤ – نباتات (كمشهد شجرة) ٥ – مواضيع دينية (صلب المسيح ، سمعان العمودي ..) ٦ – أشياء مختلفة (قناع ، آلة موسيقية ..) .

وأخيراً لابد من التمييز بين الأحجار الكريمة ذات النقوش الغائرة وقد استخدمت كاختام ورصعت بها الخواتم ، وهناك فن نقش الصور النافرة . وقد تفنن المختصون باختيار أنواع الأحجار الكريمة ذات الطبقات الطبيعية الملونة التي استخدمت في ابراز أجزاء الصورة .

٤ – مجالات استخدام الجواهر والأحجار الكريمة تتعلق بجانب هام من التاريخ الحضاري للانسان ومراحل تدرجه من عالم الاوهام ووجهة نظر نفعية إلى مجالات جديدة أتاحت له استخدامها في ترصيع الحلي المختلفة التي غدت قيمتها متعلقة بانواع هذه الجواهر والأحجار الكريمة ، وأحجامها وألوانها ، وصفائها ونقوشها . كما أنها وجدت في عصرنا الحاضر مجالات عديدة في الميدان الصناعي .

٥ – تجارة الجواهر والأحجار الكريمة : إن تجارة الجواهر والأحجار الكريمة تدل على مدى الاقبال على شرائها وكثرة الطلب لها ، والرغبة في اقتنائها . فأخذ التجار يتحملون مشقات السفر ، وأخطار الرحلات ، ومتاعب نقل البضائع المختلفة إلى بلاد الجواهر والأحجار الكريمة للمبادلة بها . ويذكر المؤرخون أن التجار القدماء كانوا يحصلون على الجواهر والأحجار الكريمة من شبه الجزيرة العربية ، واللؤلؤ من الخليج العربي وأفريقيا والهند . والعقيق واليشب من الهند ، والزمرد من اليونان وتالميس Talmis في أثيوبيا [1] ، والياقوت والماس واليشب من سيلان ، والجمشت والعقيق من مصر ، والزبرجد من شواطىء البحر الأحمر . والبيجادي من آسيا الصغرى ... وهذا مايؤكد ماذهب إليه روستوفتزف بأنه (كانت أكثر الجواهر البديعة من أصل شرقي) [2] .

وكانت القوافل التجارية تتجه إلى البلاد المنتجة للجواهر والأحجار الكريمة فكان ذلك عاملا هاماً في ازدهارها ، ولكنه كان أحياناً سبباً حقيقياً للسيطرة عليها واستعمارها .

(١) W. Tarn : La Civilisation Hellenistique - P. 172

(٢) روستوفتزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي . ترجمة زكي علي وراجعه محمد سالم (مكتبة النهضة العربية) ج ١ (المتن) ص ٣٥٣ .

ولا شك أن دراسة اكتشافات الجواهر والأحجار الكريمة المختلفة من شأنها أن تمدنا بمعطيات تساعدنا على دراسة تاريخ المبادلات التجارية وتطورها ، وازدهار التجارة العالمية بين الشرق والغرب . ويكفي لبيان أهميتها في العصور القديمة أن نذكر أن مائة وعشرين سفينة كانت تبحر سنوياً من أحد ثغور مصر إلى الهند وسيلان[١] ، وكان العرب يقومون برحلات الشتاء والصيف ويقومون بدور الوسيط بين الشعوب المصدرة والأمم المستوردة .

٦ ـ الجواهر والأحجار الكريمة كثروة جاهزة إذ إننا لو استعرضنا المراحل التاريخية لاستنتجنا بأنها كانت دائماً ليست فقط موضوع تفاخر وتظاهر ، وعامل غيرة وشهرة ، وباعث اعجاب ودهشة ، وعنصر زينة ومظهر غنى بل وبمثابة ثروة جاهزة ورصيد ثابت . فقد تجملت بها الحسان ، وتزينت بها الغواني اللواتي شغفن بكل مايكمل جمالهن ، ويشبع غرورهن ، كما جمعها الملوك والأمراء ، والقواد والأغنياء ، فكانت لهم بمثابة أرصدة أنفقوا منها على الحروب[٢]. وعلى سبيل المثال نذكر أن (ماركوس أوريليوس ١٦١ ــ ١٨٠) باع الجواهر للانفاق منها على الحرب[٣] ، ورهنت (كاترين مديتسي ١٥١٩ ــ ١٥٨٩) أحجار اللعل عند أولاد عمها مصرفيي فلورنسا لتسد منهـا نفقات الحرب . . . الخ . والجدير بالذكر أن مجموعات الشرقيين من الجواهر والاحجار الكريمة يضرب بها المثل نذكر منها (كنوز ميتريدات ١٢٣ ـ ٦٣) ومجموعات نظام حيدر آباد[٤] . . . الخ .

٧ ــ الجواهر والاحجار القديمة المنقوشة كآثار فنية ووثائق تاريخية : إذ أنها تزود الباحثين من العلماء بأسماء الملوك والأمراء ، والقواد والأغنياء ، والمترفين والفنانين ، أو صورهم أو معتقداتهم أو مما يتعلق بالحياة الفكرية والدينية ، والاجتماعية والاقتصادية .

فقد نقش (ديوسكوريد Dioscoride) على حجر كريم صورة (اوغست ٦٣ ق . م ـ ١٤ م) وصورة شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣) في سنين كهولته على الجمشت . ونقش (صولون Solon)

---

(١) ول . ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ١٠ ص ٢٣٣ .

(٢) N. et A. Metta. : Les Pierres Precieuses. P. 7

(٣) ول . ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ١٠ ص ٢٦٨ .

(٤) Metta : P. 11

على حجر عقيق صورة ديوميد Diomede ملك ارجوس يرفع تمثال الربة بالاس Pallas ، ونقش الفنان (هيروفيلوس Herophilos) صورة رأس الامبراطور (تيبيريوس ١٤ - ٣٧) (١) ... الخ . وقد كتب على بعضها أسماء أصحابها كما كتب أحياناً إلى جانبها أسماء الفنانين كتواقيع لهم عليها ، كما أن بعض الصور المنقوشة تذكرنا بالصور التي نشاهدها على النقود القديمة وما ينتج عن ذلك من نتائج علمية هامة تتعلق بمعرفة الفنان الذي ابدعها ، وبالأعمال الفنية التي قضت عليها أعمال التخريب . أضف إلى ذلك أن هذه الصور المنقوشة تساعدنا على معرفة كل ما يتعلق بالملابس والحلي المفضلة وتجميل الشعر . . والأسلحة والأدوات الموسيقية الخ .

٨) _ **الجواهر والاحجار الكريمة ومحاولات تقليدها** : ان قلة الجواهر الحقيقية ، وندرة الاحجار الكريمة ، وارتفاع أثمانها ، وكثرة الطلب لها والاقبال عليها مما شجع الانسان على القيام بمحاولات عديدة لتقليدها ، والتفنن في محاكاتها . وهذا ما يفسر محاولات المصريين القدماء في التزجيج باللون الأزرق محاكاة للون الفيروز ، واستخدامهم اللون الأخضر تقليداً للون اللازورد... وقد تحدث (بليني ٢٣ - ٧٩) عن كيفية امكانية تمييز الجواهر والاحجار الكريمة الحقيقية ، ولكنه ألحّ على صعوبة تمييز العجائن الزجاجية من الاحجار الكريمة الحقيقية .

أما في عصرنا الحاضر ، فقد حقق الانسان نجاحاً كبيراً في تقليد الجواهر والاحجار الكريمة ، وقد حدثني أحد المختصين بأنه يصعب أحياناً تمييز الحقيقي من الاصطناعي لأول وهلة . فقد نجح الألماني شتراس Strass في تقليد بعض الاحجار مثل اللعل والسفير ، كما قام فريمي Fremy وفرنوي (Verneul) ومواسان (Moissan) بتقليد الياقوت في ١٨٩٢ ولا شك أن ذلك مما اسهم في جعل الطبقات الوسطى تتزين بهذه الجواهر والاحجار الكريمة الاصطناعية ذات السعر المنخفض .

لمحة تاريخية عن الجواهر والاحجار الكريمة : لكل حضارة آثارها وتحفها ، وحليها وطرائفها التي تنعكس فيها صورة عن امكانيات الشعب المادية ومفاهيمه الجمالية ، ومهارة صناعه التقنية . ولو استعرضنا أخبار المكتشفات الأثرية لاستنتجنا نسبة وجود الجواهر والاحجار الكريمة تبعاً لامكانيات ذلك الشعب ، وتذوقه لها ، واقباله عليها ، ويلاحظ أن المنقبين اذا ذكروا عرضاً اخبار هذه الجواهر والأحجار الكريمة فإنهم قلما يعنون بها العناية التي تستحقها . وسأستعرض بإيجاز أهميتها عند الشعوب القديمة .

(١) Saglio : Dictionnaire des Antiquités T. II P. 1478

١) الجواهر والاحجار الكريمة في مصر : منذ عصر ما قبل الاسرات انطلقت السفن المصرية إلى الشرق تنشد الجواهر والاحجار الكريمة وكل ما من شأنه أن يطيل الحياة (١) . فعرفت اليشب واستخدمت الكريستال والعقيق . ويذكر البعض أن البداريين استخدموا فى حليهم حبات من الفيروز والعقيق والكوارتز (٢) . وقد تمكن المصريون في عهد السلالة الأولى (٣٢٠٠ - ٢٩٨٠ ق . م) أن يفتحوا شبه جزيرة سيناء . فكان هذا الفتح بمثابة فجر لاكتشافات جديدة ، وبداية لحملات عديدة تهدف إلى الحصول على الزمرد وحجر المليخيت أيضاً (٣) .

وقد برع صناع مصر في قطع الاحجار الكريمة والترصيع بها . ويدل على ذلك مشهد على جدار أحد الاهرامات يبدو فيه أحد نقاشي الاحجار الكريمة مع الصناع الآخرين الذين يقطعون حجر الفيروز قطعاً صغيرة للترصيع بها (٤) . ويصف (بوستد) عملهم في النحت والترصيع بأنه كان في غاية الدقة والاتقان .

وقد اخرجت الحفائر الأثرية تيجان أميرات مصريات ، وقلائدهن وحليهن المرصعة بالاحجار الكريمة التي تدل على مدى اهتمام المصريات بالاحجار الكريمة . وكانت تزين عنق فرعون مصر قلادة ثقيلة من الحبات الذهبية والاحجار نصف الكريمة ، (٥) وكان يزين ذراعه سوار ذهبي مرصع أيضاً بالاحجار شبه الكريمة متعددة الألوان . وتدل حلي الملكة (حتب حرس) زوجة سنفرو (٢٦٨٠ - ٢٦٥٦) على مدى ميل المصريين القدماء إلى ترصيع قلائدهن بالاحجار الملونة (٦) .

وفي عصر المملكة الوسطى كانت تزين صدر الملك شارة ملكية مرصعة بالأحجار الكريمة وأشباهها . (٧) وفي عهد (امنمحات الثاني ١٨٩٨ - ١٨٧٩) كان المصريون يتزينون بالعقيق

---

(١) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة . المطبعة العصرية بمصر ص ٤٠ .

(٢) أحمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ مكتبة الأنجلو مصرية ص ٤١ .

(٣) هامرتون : تاريخ العالم ص ٥٨٧ .

(٤) جيمس هنري براستد : العصور القديمة . نقله الى العربية داود قربان . المطبعة الأميركية ١٩٣٠ ص ٤٩ .

(٥) الن شورتر : الحياة اليومية في مصر القديمة . ترجمه نجيب ميخائيل ابراهيم راجعه محرم كمال ص ٣٠ .

(٦) محمد انور شكري وزملاؤه : مصر والشرق القديم . دار مصر للطباعة ص ١٢٧ .

(٧) هامرتون : تاريخ العالم ص ٥٨٧ .

واليشب الأخضر (١) . وقد تميز تاج ابنته (خنوميت) بالعقيق الأحمر (٢) . وفي عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ – ١٧٧٨) ظهر الميل إلى ملء فجوات الحلي الذهبية بالاحجار الثمينة كالعقيق والفيروز واللازورد (٣) . وكانت التوابيت تزين بالذهب والاحجار الكريمة . وقد جاء في رسالة الملك سنوسرت الأول (١٩٧٢ – ١٩٢٨) إلى سنوحي (... سيكون تابوتك من ذهب ورأسه من اللازورد ...) (٤) وقد اهتم ملوك الاسرة الثانية عشرة بالمنطقة التي تؤدي إلى مناجم الفيروز في جبال شبه جزيرة سيناء (٥) . وفي عهد الملك سنوسرت الثاني (١٨٩٨ – ١٨٧٩) انتشرت عادة التزين بالعقيق واليشب الأخضر .

ويلاحظ أن حلي اللاهون قد رصع أكثرها بأحجار ثمينة ذات ألوان مختلفة . كما أن مكتشفات دهشور لا تقل عنها قيمة . وذكرت الأستاذة مرجريت مري سوار الملكة (عح حتب) من الاسرة السابعة عشرة ، وأن هذا السوار يتميز بأنه يتألف (من قطع دقيقة من اللازورد قطعت بحيث تملأ الدقائق المعقدة المختلطة في الوسم الدقيق (٦) . وذكرت الأستاذة نحية كامل حسين عن استعمال الجمشت والعقيق في العقود بشكل حبات مع حبات الذهب (٧) .

وفي عهد تحوتمس الثالث (١٤٩٠ – ١٤٣٦) كانت طيبة العاصمة الكبرى في العالم القديم ، وقد تميز الصائغون فيها بالذوق الرفيع والمهارة الفنية . وكانت مهنتهم تشتمل مهنة (الجوهري المختص بنقش الاحجار الكريمة وصقل الجواهر) وكان يتجه إليها سنوياً رسل البلاد المختلفة حاملين

---

(١) مرجريت مري : مصر ومجدها الغابر ص ٦٦ .

(٢) هامرتون : تاريخ العالم ص ٥٨٦ .

(٣) مرجريت مري : مصر ومجدها الغابر ص ٤١ .

(٤) احمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٥٨ ص ٩٩ .

(٥) الكسندر شارف : تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى انشاء مدينة الاسكندرية ترجمة عبد المنعم أبو بكر . راجعه مراد كامل ص ١٠٢ .

(٦) مرجريت مري : مصر ومجدها الغابر . ترجمة محرم كمال مراجعة نجيب ميخائيل ابراهيم . سلسلة الف كتاب رقم ١٠٠ ص

(٧) نحية كامل حسين : تاريخ الأزياء وتطورها . سلسلة الف كتاب . الجزء الأول ص ٢٤ .

معهم ما تنتجه بلادهم من جواهر وأحجار كريمة (١) . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة والأسرة التاسعة عشرة ظهرت فكرة توصيع مقصورة بالاحجار الكريمة وذلك كي تتلألأ بتأثير أشعة الشمس ونورها و (تنير الأرض كلها) (٢) .

ومن كنوز (توت عنخ امون ١٣٤٨ - ١٣٣٧) العلب المتضمنة انفس الجواهر وتابوته الذهبي (٣) المرصع بالجواهر .

وفي عهود البطالمة استمر الاهتمام بالاحجار الكريمة ، ففي عهد بطليموس الأول (٣٢٣ - ٢٥٨) بدأت حركات الكشف في البحر الأحمر ، وينسب إلى قائد أسطوله (فيلون Philon)(٤) كشف جزيرة الزمرد . واشتهرت الملكة كليوباترا (٦٩ - ٣٠) بمجموعاتها وقصرهـا المرصع بالاحجار الثمينة . وقيل أنها قدمت إلى ذوي الحظوة لديها صورتها منقوشة على أحجار كريمة من شواطىء البحر الأحمر في منطقة كانت تشكل ثروات الفراعنة .

والجدير بالذكر أن فن النقش على الجواهر والاحجار الكريمة قد ازدهر في الاسكندرية (٥) التي كانت تعتبر أكبر مركز للجواهر والاحجار الكريمة .

٢) **الجواهر والاحجار الكريمة في بلاد ما بين النهرين** : ان كثرة الاختام الاسطوانية المكتشفة في بلاد ما بين النهرين تدل على انه كان لكل شخص خاتم خاص به من العقيق أو اليشب أو اللازورد أوغيرها . وان نقوشها تدل على موهبة الفنان ودقته ، ويقظته ومهارته . وقد اضفى النقش على الحجر مسحة من الجمال ، واعطاه قيمة وثائقية تتعلق بحياة البابليين ومعتقداتهم .

والمعروف عن أبناء بلاد مـــا بين النهرين أنهم كانوا بحاجة ماسة إلى الذهب لهذا كانوا

---

(١) احمد فخري : مصر الفرعونية

(٢) مرجريت مري : مصر ومجدها الغابر ص ٢٩٨ .

(٣) مرجريت مري : مصر ومجدها الغابر ص ٤٠٥ .

(٤) ابراهيم مصري : دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة . مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٥٩ ص ١٢١ .
Tarn . La Civilisation Hellénistique . Payot, Paris 1936 P. 224

(٥) Tarn : P. 238 .

يستبدلون به حجر اللازورد الذي كان يعتبر من أهم صادراتهم . وقد ذكر العالم سارتون أن بعض رسائل تل العمارنة تفيد أن ملكاً من ملوك الكاشيين أهدى ملك مصر هدية من حجر اللازورد (١).

وذهب الأستاذ سلامة موسى إلى القول بأن العقائد المتعلقة بإطالة الحياة بعثت السومريين وغيرهم من شعوب بلاد ما بين النهرين إلى القيام برحلات طلباً للجواهر (٢) . والجدير بالذكر أن قطع العقيق الكثيرة المكتشفة بين اطلال المنازل في منطقة (هاربا) و (مهنجو دارو)(٣) قد لفتت انظار العلماء المختصين ، وان العثور على العقيق في حفائر سومر جعلتهم يستنتجون بأن العقيق كان مستورداً .

وكان الساميون يتزينون بالعقود والخواتم المرصّعة بالكوارتز والعقيق . وكانت الاحجار الكريمة (٤) من البضائع التي كان يحرص عليها الآراميون الذين وصلت قوافلهم التجارية الى الخليج العربي . واشتهر الآشوريون باستخدامهم الجواهر والاحجار الكريمة .

وكان ملوك الاخيمينيين يفرطون في استخدامهم الجواهر والاحجار الكريمة حتى أنهم كانوا ينتعلون أحذية تناثرت عليها الاحجار الكريمة . وقد استولى اسكندر المكدوني على كنوز داريوس الثالث كودومان Darius Codohan (٣٣٦ - ٣٣٠) ق . م بعد انتصاره عليه قرب اربيل . وكان الفرس مولعين باللؤلؤ والمرجان ، والياقوت والاحجار الكريمة الأخرى ذات الاشكال العجيبة (٥)

ويحتفظ المتحف العراقي في بغداد بالحلي المختلفة التي تدل على مدى اهتمام أبنـــاء بلاد ما بين النهرين بالجواهر والاحجار الكريمة في عصر كان يعتبر فن الترصيع بالاحجار كاختصاص شرقي .

---

(١) جورج سارتون : تاريخ العلم : ترجمة توفيق الطويل وزملائه باشراف الدكتور ابراهيم بيومي مدكور وزملائه . الجزء الأول ص ١٩١ .

(٢) سلامة موسى : مصر أصل الحضارة . ص ٤٠ .

(٣) عبد المنعم أبو بكر وزملاؤه : مصر والشرق القديم ص ٢٦٨ ، جيمس هنري براستد : العصور القديمة ص ١٠٢ .

(٤) حسن احمد محمود وزملاؤه : مصر والشرق القديم ص ٣٨٣ .

(٥) حسن احمد محمود وزملاؤه : مصر والشرق القديم ص ٤٥١ .

الجواهر والاحجار الكريمة في شبه الجزيرة العربية : اشتهرت شبه الجزيرة العربية بالجواهر والاحجار الكريمة كالجمشت والبللور ، والعقيق الاحمر والاصفر ، والجزع وغيره ،أضف إلى ذلك لؤلؤ البحرين .

كما أن الموقع الجغرافي لليمن جعلها ملتقى تجار العالم القديم ، ومركزاً هاماً للتجارة العالمية . وكان تجار الهند والافريقيون ينقلون بضائعهم المختلفة إلى اليمن لتنقل منها براً إلى مختلف أنحاء العالم . وكان التجار اليمانيون من أنشط الرحالة والتجار المتنقلين ،يشترون الاحجار الكريمة من الهند ، واليشب والعقيق من افريقيا الشرقية ، وكانوا يقومون بدور الوسيط بين التجار المصريين وزملائهم في الهند (١) .

وكان اليمانيون عريقي الحضارة ، وقد بلغ ترفهم المادي وتذوقهم للجواهر والاحجار الكريمة ما جعلهم يعلقون على افاريز منازلهم وأبوابها صحائف الذهب مرصعة بالجوهر (٢) . وكانوا يبذلون في تزيين قصورهم أموالاً طائلة صرفوها في تجميلها بالذهب والفضة ،والعاج والاحجار الكريمة (٣) . وبقيت الملكة بلقيس – في جمالها وتذوقها للجواهر والاحجار الكريمة ، وجمعها لها وتزينها بها – ، مصدر وحي للفنانين في القرون الوسطى ، وموضوع قصائد الشعراء مدى الزمن (٤) .

وقد احتفظ العرب بحق حصرهم للتجارة ، حتى أنه لم يكن هناك مركب كان في إمكانه أن يجتاز باب المندب . فكان العالم القديم يحصل على مختلف مواد الترف وأنواع الجواهر والاحجار الكريمة من الهند والجزيرة العربية .

وفي الوقت الذي كان فيه العرب يتزينون بلآلىء البحرين ، كان الاغريق يجهلونه طيلة القرون التي سبقت فتوحات اسكندر المكدوني (٣٥٦ – ٣٢٣) .

---

(١) روستوفتزف : تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ص ١٤٥ .

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام . دار الهلال ص ١٨٠ .

(٣) وعلى سبيل المثال نذكر وصف الهمداني لقصر (الكوكبان) الذي كان مزيناً بالفسيفساء والجزع وصنوف الجوهر . ووصف علقمة (بينون) بقوله :

واسأل بينون وحيطانها ... قد نطقت بالدر والجوهر

(٤) وفي ذلك يقول (تبع في وصف عرشها) :

عرشها رائع ثمانون باعاً ... كللتــه بجوهر وفريد
وبدر قد قيدته وياقو ... ت بالتبر أي تقيـــد

وعند ما شعرت روما بقوتها ورغبتها في السيطرة بعثت في عهد (اوغست ٦٣ - ١٤ ق.م) حملة حربية (١) كبرى الى بلاد العرب كي تضمن لها السيطرة على بعض الموانىء التي كانت تعتبر الاحجار الكريمة وغيرها من مواد الترف من أهم صادراتها .

الجواهر والاحجار الكريمة عند الاغريق والرومان : لئن عرف المسينيون بعض أنواع الاحجار الكريمة ، واستخدم الاغريق أيضاً بعضها فإنهم كانوا يجهلون الكثير من أنواعها . فالياقوت كان مجهولاً من قبلهم ، وكان اللعل نادراً جداً في بلادهم ، ولم يذكر (تيوفراس Theophratse ٣٧٢ - ٢٨٧) من الاحجار الكريمة المعروفة إلا الاحجار المنقوشة ولا سيما حجر sardoine من سارد sard وبابل .

واطلع الاغريق على فن النقش على الاحجار الكريمة والناعمة عند الشرقيين ، ثم ما لبثوا أن برعوا في قطع الاحجار (٢) المعروفة ، وتفننوا في نقشها ، وتقدموا في هذا الفن تقدماً كبيراً من حيث الاسلوب الفني واختيار الموضوع . وان ما تركوه من الاحجار ذات الصور الغائرة والصور النافرة ما زال موضع اعجابنا وتقديرنا . وقد حفظ لنا التاريخ أسماء عدد من الفنانين الذين اشتهروا بفن النقش على الاحجار (٣) ، نذكر منهم Athenadès و Phrygillos و Dexamenos و Pergamaus و Olympios و Onatas ولا سيما (بيرجوتيل) .

وكان الاغريق يعتقدون باسطورة اعتبرت عادة استخدام الاحجار الكريمة قد انتقلت إليهم من القوقاز والصخرة التي علق عليها (بروميتيه Promethée) ، وان قطعة منها قد انفصلت وحملت كفص خاتم ، ومنذئذ انتشرت عادة استخدام الأحجار الكريمة (٤) . وقد اعتبر المتهنون للتعدين من أصل شرقي .

وكان من نتائج فتوحات اسكندر المكدوني للشرق اطلاع الاغريق على حضاراته ، ومواد ترفه وعناصر زينته . وبعد ما كانوا يجهلون اللؤلؤ (٥) أخذوا يقبلون عليه ويتزينون به في العصر

---

(١) روستوفتزف : ص ١٠٧ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة . رقم ٧ ص ١٣٤ .

(٣) Saglio : Dictionnaire des Antiquités T. II P. 1486

(٤) E., Coche de la Ferté : Les Bijoux Antiques p. 24

(٥) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٣٠٥

W. Tarn : La Civilisation Hellenistique p. 217

الهلنستي » ، وكانت له قيمة كبيرة ، ويشك الأستاذ (تارن w. w. Tarn) أن تكون الاغريقيات قد استخدمن الأحجار الكريمة بكثرة[١] . ومع ذلك فقد كانت المشابك والأساور تجعل عريضة ، وذلك لتزيينها وترصيعها بالأحجار الكريمة أو الفصوص الزجاجية .

وعرف الاتروسكيون في ايتاليا فن النقش على الأحجار الكريمة ، ليجعلوا منها صوراً نافرة ومشاهد غائرة[٢] . وعندما ورث الرومان حضارة الاتروسكيين واتصلوا بالعالم القديم أخذوا يولعون رجالاً ونساء باقتناء الجواهر والأحجار الكريمة التي ترضي الحس البديعي ، وتثير الغبطة الجمالية في عصر كانت فيه روما سوقاً لمنتجات العالم القديم التي وصفها (ايليوس ارستيدوس Aelius Aristides) بقوله (من شاء أن يرى طيبات العالم فعليه أن يطوف العالم كله أو يقيم في روما فيرى حلي صقلية ومصر ، ولؤلؤ افريقيا ، وذهب اسبانيا ، وزمرد اليونان والأحجار الكريمة الواردة من بلاد العرب[٣]) . وغدت الأحجار الكريمة عنصراً هاماً في جهاز المرأة (فقد ارتدت Lolia Poulina ثوباً مغطى من رأسها إلى قدمها بالزمرد واللؤلؤ ، وكانت تحتفظ معها بالايصالات التي تدل على أنها كلفتها أربعين مليون سسترس[٤]) .

ويكفي لبيان مدى شغف الرومان باللآلىء والأحجار الكريمة مهما كان ثمنها أن نذكر أن (يوليوس قيصر ١٠١ ـ ٤٤ ق . م) دفع ثمن لؤلؤة واحدة ستة ملايين سسترس . وقد بلغ التنافس في هواية جمع الجواهر والاحجار الكريمة ما جعل (ماركوس اوريليوس ١٦١ ـ ١٨٠) يأمر بنفي (نونيوس Nonius) أحد أعضاء مجلس الشيوخ الذي كان قد رصع خاتمه بحجر عين الهر له حجم البندقة ، ففر هذا الشيخ وفي اصبعه ما قيمته مليون سسترس .

وكان الرومان قد استولوا على كنوز (ميتريدات ١٢٣ ـ ٦٣ ق . م) ، ويكفي لبيان أهميتها أن نذكر أن احصاءها دام ثلاثين يوماً . وقد وجد بينها أقداح الجزع موصعة بالذهب فأودعت الغنائم في معبد جوبيتير Jupiter Capitolin ولا شك أن الفتح الروماني للشرق

---

(١) W. Tarn : La Civilisation Hellenistique p. 218 .

(٢) R. Bloch : L'Art et la Civilisation Etrusque Librairie Plon 1955 p 166 .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة . رقم ١٠ ص ٢٣٠ .

(٤) Saglio : Dictionnaire des Antiquites T II p. 1485

ونقل كنوزه وجواهره وأحجاره الكريمة مما أسهم في زيادة تذوق الرومانيات للذهب والجواهر والاحجار الكريمة . وقد انعكس ذلك في الذوق الكلاسي .وظهر تأثير اللون وأهميته من حيث انسجامه مع الألوان الأخرى . وتشكلت مجموعات من الجواهر والأحجار الكريمة . ويعتبر صهر (سللا sylla ١٣٦ — ٧٨ ق . م) أول من شكل مجموعة منها (١) . وظهر القائد (بومبه Pompée ١٠٧ — ٤٩ ق . م) في حفلات انتصاراته متجملاً بالجواهر والأحجار الكريمة . ويقال أنه حمل في إحدى احتفالاته بانتصاراته (شطرنج يتألف من حجرين كريمين) وانه (جعل صورته من اللؤلؤ) ، وان عادة اقتناء صناديق المجوهرات انتشرت في عهده . وقد اعتبر (فيريس Verrès ١١٩ — ٤٣ ق . م) أكبر هواة جمع المجوهرات والتحف المرصعة بالأحجار الكريمة . ويقال أنه اقتبس ذلك من الشاب السوري (انطيوخس) أثناء مرور هذا الشاب بصقلية حاملاً معه إلى معبد جوبيتير في روما الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة . وانتشرت عادة ترصيع الأدوات الموسيقية والاسلحة الحربية بالأحجار الكريمة وبلغ الأمر بالامبراطور (كاليجولا Caligula ١٢ — ٤١ م) ان زين حصانه Imitatus بطوق من الأحجار (٢) .

وذكر (بليني Pliny) أكثر من مائة نوع من أنواع الأحجار الكريمة المعروفة في روما . ويعتبر (اميليوس سكوروس M. Aemilius scaurus أول روماني اتخذ له صندوق خواتم وأحجار ثمينة . وقدم (اوغست ٦٣ — ١٤ ق . م) إلى معبد جوبيتير لآلىء وأحجار كريمة قيمتها خمسون مليون سسترس .

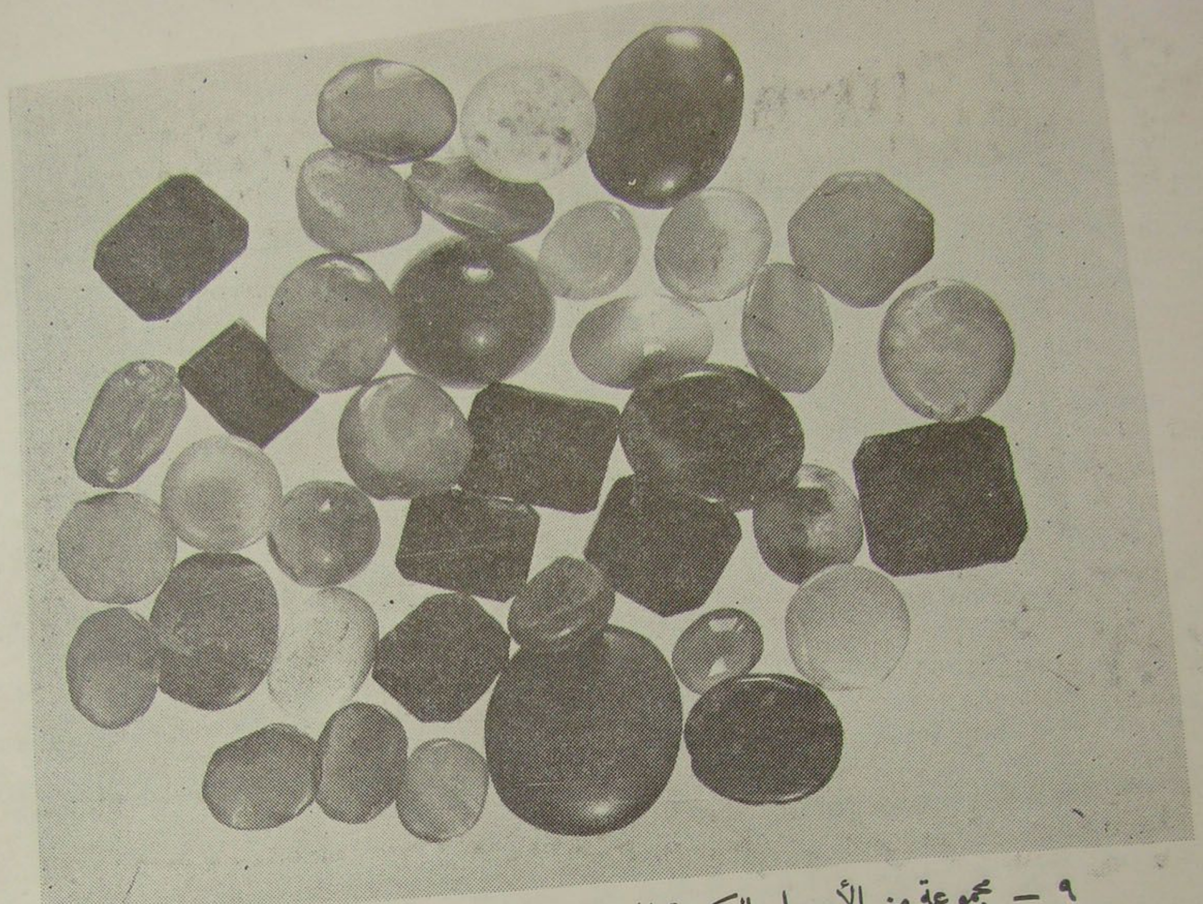
ولم يستطع الرومان أن يجعلوا حداً لولعهم بالجواهر والأحجار الكريمة ، وهذا مايفسر قول (بليني) (إننا نشرب في ساقية من الأحجار) ، حتى أن أحذية النساء كانت تزركش أحياناً بالذهب وتحلى بالجواهر (٣) .

واستمر الرومان على البحث عن الجواهر والأحجار الكريمة واقتنائها بشغف ولهفة . وكانوا

(١) N. el A. Metta : Les pierres précieuses . p. 8

(٢) Saglio : Dictionnaire des Antiquites T II . p . 1586

(٣) ديورانت : قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الثالث رقم ١٠ ص ٣٢٤ .



٩ — مجموعة من الأحجار الكريمة المختلفة المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق

١٠ — خرزات أطواق من الأحجار الكريمة مختلفة الأشكال والحجوم اكتشفت في حوران

يقبلون بكثرة على الزمرد. ونبغ عدد من الفنانين في النقش على الأحجار الكريمة، نذكر منهم (ديوسكوريد Dioscoride) الذي اعتبرت أعماله الفنية في مرقبة الفنان الاغريقي (بيرجوتيل Pyrgotele) الذي كان الاسكندر قد طلب منه نقش صورته على الأحجار الكريمة فكان ذلك بمثابة امتياز له . (وصولون solon) و (اسبازيوس Aspasios) و (جليكون Glycon) و (وروفوس Rufus) و (اجاتوبوس Agathopus) و (سوسوس sosos) و (بامفيلوس Pamphilos) و (ابولونيوس Apolonios) و (اوتيخيس Eutychès) و (هيروفيلوس Herophilos) و (هيللوس Hyllos) و (اليكساس Alexas) وأولاده ... الخ (١) . ومن أطرف ماذكره (بليني) أنه كان على قبر هرمياس Hermias ملك قبرص أسد من رخام وضعت عيناه بزمردتين براقتين، حتى قيل أن بريقهما كان يخترق المياه إلى أعماق البحر مما كان يجعل أسماك الطون Thon تخافه وتبتعد عن الشاطىء، ولكن الصيادين انتبهوا إلى ذلك فغيروهما لتقترب الأسماك منه (٢) .

ولكن مجموعات الجواهر والأحجار الكريمة التي جمعها الرومان وتنافسوا في اقتنائها، والحرص عليها، والظهور بها، أخذت تهاجر وتعود إلى الشرق (٣) موطنها الاول، وذلك عندما ظهر خطر الغزاة وأخذ يهدد جدياً روما والرومان .

الجواهر والاحجار الكريمة في سورية قبل الإسلام : عرف الفنيقيون الجواهر والاحجار الكريمة، وبحثوا عنها، وبادلوا من أجلها، وتزينوا بها . وقد جاء في التقرير الحربي الذي كتب بعد معركة مجدو في ١٤٦٨ ق . م انه كان من بين الغنائم (صولجان من خشب الخروب رصع بالذهب والحجارة الكريمة، وتمثال من خشب الابنوس في رأسه حجارة من اللازورد)(٤) وعرف الصوريون برحلاتهم الكثيرة، وذلك للحصول على الجواهر والاحجار الكريمة (٥) وغيرها من مواد الترف حتى قيل لملك صور احيرام (كنت مغطى بالاحجار الكريمة) . وفي الواقع

(١) Saglio : Dictionnaire des Antiquités T. II p. 1477
(٢) Saglio T. II p. 1486
(٣) Metta : p. 8
(٤) فيليب حتي : لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، وترجمه انيس فريحة، ١٩٥٩ ص٨٣ .
(٥) » » » » » ص ١٢٩ .

وصل الفينيقيون في رحلاتهم البعيدة إلى الهند وشواطىء افريقيا طلباً للجواهر والأحجار الكريمة والبضائع المختلفة ، وينسب اليهم بعض المؤرخين الفضل في إدخال الجواهر والأحجار الكريمة إلى بلاد الاغريق (١) كبضاعة من البضائع التي كانوا يوزعونها في أنحاء العالم . وكان العامة في المدن الفينيقية يتزينون بعقود وخواتم مصنوعة من الكوارتز والعقيق (٢) ، ويؤكد ذلك ما أخرجته مكتشفات اوغاريت من عقود كثيرة مؤلفة من العقيق وغيره سجلت في سجلات المتحف الوطني بدمشق .

وكان في هيكل ملقارت — الذي أعجب به ابو التاريخ هيرودوت — هدايا كثيرة وعمودان أحدهما من الذهب والآخر من الزمرد يلمع في الظلام (٣) .

وفي العصر الهلنستي جعل السلوقيون من سورية مركزاً هاماً توسل اليه البضائع المختلفة من أواسط آسيا الغنية بالأحجار الكريمة وغيرها وذلك للاستهلاك المحلي أو تصديره إلى مختلف أنحاء العالم الاغريقي والروماني (٤) . ويحتفظ متحف الارمتاج بحجر كريم نقشت عليه صورة أحد ملوك سورية السلوقيين (اسكندر بالا ١٥٠ — ١٤٥ ق ٠ م)وزوجته (كليوباترائيا(٥)) ، وقد بلغ من ترف السوريين ما جعل سكان انطاكية عاصمة سورية فى العصر الهلنستي والروماني - يسخرون(٦) من الرومان الذين قدموا إلى البلاد لحكمها والسيطرة عليها . وذكر بعض المؤرخين ان التجار السوريين كانوا قد احتكروا (كمستوردين مقداراً كبيراً من تجارة الولايات اللاتينية)(٧) . واعتبر المجوهرات من سلعهم الرئيسية ، وانهم كانوا يستوردون اللؤلؤ من الخليج العربي ،والجواهر من الهند ، والأحجار الكريمة من أواسط آسيا . وذكر الدكتور حتي بأنهم يتميزون من بين جميع شعوب الامبراطورية الرومانية بأنهم كانوا أكثرهم نشاطاً في المغامرات التجارية .

---

(١) Metta : p. 8

(٢) حسين أحمد محمود وزملاؤه : حضارة مصر والشرق القديم ص ٣٩٩ .

(٣) فيليب حتي : لبنان في التاريخ ص ١٢٠ .

(٤) فيليب حتي : لبنان في التاريخ ص ٢١٢ .

(٥) Saglio : T. II p. 1476

(٦) ديورانت : قصة الحضارة رقم ١١ ص ١٢٥ .

(٧) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٣٨٤ .

وكان التجار السوريون يوزعون بضائع الشرق في مختلف بلاد البحر الأبيض المتوسط ، وكانت لهم محطاتهم في كل ميناء . ورأى الاستاذ بينز Baynes ان أعظم جانب من التجارة الغربية كان في يد السوريين الذين كانت لهم جاليات عاشت في مختلف المدن الغربية .

أضف إلى ذلك انهم كانوا يقومون بدور (رواة أخبار) وناشري حضارة . فقد قصّ تاجر سوري على مسامع القديس سمعان العمودي (+ ٥٤٩) قصة القديسة جنفييف (+ ٥٠٠)[١].

وكانت تدمر عروس الصحراء مركزاً رئيسياً للتجارة الدولية ، وعاصمة هامة في الشرق القديم تتجه اليها القوافل من شبه جزيرة العرب حاملة اليها الذهب والجزع واليشب ، ومن بلاد ما بين النهرين لآلىء البحرين ... وكان في تدمر نقابة للصائغين[٢] الذين ربما كانوا يتفننون في ترصيع الحلي المختلفة بالجواهر والأحجار الكريمة . وتدل التماثيل النصفية الجنازية المكتشفة في تدمر على مدى تذوق حسانها للحلي المرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة . وربما كان لكل منها صندوق تحفظ فيه حليها ومجوهراتها وأحجارها الكريمة . ويؤيد ذلك قطعة نحت محفوظة في المتحف الوطني بدمشق تمثل سيدة تدمرية وقربهـــا خادمتها تمسك بيديها صندوق مجوهرات رقم السجل (٢١٥٣) .

وكانت زنوبيا ملكة تدمر تستعرض جنودها وهي ممتطية حصانها ومتدثرة بملابس الحرب وعلى رأسها خوذة مرصعة بالدر والجوهر[٣] ، كما انها كانت ترتدي في المناسبات الرسمية ثوباً من الارجوان الموشى بالجواهر[٤] .

وان كثرة الحلي الذهبية والفضية المرصّعة بالجواهر والأحجار الكريمة التي اكتشفت في مختلف أنحاء سورية خير دليل على مدى اهتمام السوريين القدماء بالجواهر والأحجار الكريمة ، وحرصهم على اقتنائها والتجمل بها . وقد نشر الدكتور (ريس[٥] Riis) الجواهر والأحجار الكريمة

---

(١) Steven Runciman : La Civilisation Byzantine 330 - 1453 . Traductign de E. J. Levy Bayot . Paris , 1953 p. 175 .

(٢) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٤٣٤ .

(٣) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام . دار الهلال ص ١٠٣ .

(٤) فيليب حتي : لبنان في التاريخ ص ٤٣٨ .

(٥) Riis : Hama , Fouilles et Recherches de Fondation Carlsberg 1931 - 1938 Les Cimetières a Crémation Kobenhavn T. II , 3 P. 144 - 145 .

المكتشفة من قبل بعثة الدانمركية في حماه خلال فترة دامت من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٣٨ ومن أهم هذه المكتشفات الكريستال الذي عثر عليه في طبقة (J) بشكل خرزات ، والجمشت الذي عثر عليه بشكل خرزات أو أختام اسطوانية أو جعل في قبور كانت تمارس فيها عادة حرق جثث الموتى ، والعقيق الذي عثر على نماذجه في حماه في طبقات تعود إلى الألف الثالث ق . م. ومن نماذجه ختم اسطواني وخرزات عقد . أضف إلى ذلك الخلقيدوني أو الحجر اليماني أو اليشب الأبيض ويعتبر نادراً في سورية . والكوارتز الأبيض المعتم وهو حجر شبه ثمين ويعتبر من أكثر الأحجار استعمالا في القبور المكتشفة في حماه التي كانت تمارس فيها عادة حرق جثث الموتى . والجدير بالذكر انه جعلت منه الخرزات وزينت به الأقراط . ويلاحظ الدكتور (ريس Riis) تشابهاً مع العقيق المحروق عندما يكون هو نفسه أيضاً محروقاً وهذا ما جعله يستدرك ويذكر احتمال تصنيف العقيق خطأ في قائمة الكوارتز . وهنـاك العقيق اليماني الذي كثر استخدامه في سورية في العصر الهلنستي والروماني . ويلاحظ الدكتور ريس وجوده في القبور التي تمارس فيها عادة حرق الجثث إلى جانب وجود أحجار كريمة أخرى كالعقيق والجزع واليشب الأسمر . وأخيراً لنذكر اليشب الأحمر الذي عثر منه على خرزة وختم اسطواني . ويرى الدكتور ريس ان هذا الحجر قد استخدم في الشرق الأدنى في عصر مبكر بشكل ختم اسطواني . كما نشر العالم سيريغ في مجلة (Syria 1953 P. 19) مقالاً عن الكنز الذهبي المكتشف في تل صابون قرب حمص يرصعه العقيق والسليماني .

وقد تكرم الصديق الكريم الدكتور يوسف الخوري فأطلعني على بعض الأحجار الثمينة في حالتها الطبيعية وأخص بالذكر منها كتلة الكريستال المكتشفة في منطقة صافيتا . وأخبرني بأن كتل الكريستال الصافية هي صخور اندفاعية من أعماق الأرض وهي توجد مع الذهب في شبه جزيرة العرب . . الخ . كما تكرم فأطلعني على كتلة الجمشت في حالتهـا الطبيعية كانت قد اكتشفت في طريق الزبداني .

الجواهر والأحجار الكريمة عند المسلمين : ان حياة الأمويين (٦٦١ — ٧٥٠) ولا سيما العباسيين (٧٦٢ — ١٢٥٨) تدل على ان بساطة الخلفاء الراشدين وأوائل المسلمين قد انقلبت الى ما لا نظير له من حيث البذخ والترف [١] . وقد غدت بغداد سوقاً رئيسية للجواهر والأحجار الكريمة التي من شأنها أن تلبي رغبات سكانها في التزين بالياقوت واللازورد واللؤلؤ والزبرجد

(١) ل . ا . سيديو : تاريخ العرب العام : ترجمة عادل زعيتر ص ٤٨١ .

والعقيق، وحبهم التدثر بالديباج المنسوج بالذهب والمنظوم بالجوهر. وكانت تصنع الأواني من بعض الأحجار الكريمة الثمينة وهذا ما جعل الإمام الشافعي يقول بأنه (لا يجوز استعمال أواني الياقوت والبلور لأن قيمتها فوق قيمة الذهب، وإن الإسراف فيها أكثر من الإسراف فيه) ولم يكن الميل إلى الجواهر والأحجار الكريمة عند الفاطميين وأمويي الأندلس أقل منه عند العباسيين.

وكانت (زبيدة) زوجة هارون الرشيد « لاتتسامح أن ترى على مائدتها أوعية غير مصنوعة من الذهب والفضة ومرصعة بالجواهر [١] » واتخذت (علية) أخت هارون الرشيد العصائب « المكللة بالجواهر لتستر بها جبينها، ومنذئذ انتشرت هذه البدعة بين النساء [٢] » وفي حفلة زواج الخليفة العباسي المأمون من بوران ابنة وزيره في عام ٨٢٥ م. جلس العروسان وقد بسط لهما فرش كان « الحصير منها منسوجاً بالذهب ومكللاً بالدر والياقوت، وقد نثرت على بوران الف درة كانت في صينية ذهبية » حتى قيل بأنه « لاشيء يحجب مطر اللؤلؤ الذي غمر بوران بنت الحسن يوم زفافها إلى المأمون [٣] » وكان « لأم المستعين سجادة صنعت خصيصاً لها. وقد بلغت نفقاتها ثلاثين ومائة مليون درهم جعلت عليها صور مختلفة فيها الطيور الذهبية ذات العيون الياقوتية [٤] ».

وتذكر بعض المصادر الأدبية أن بعضهم جعل في عصبات الجواري دراً ينثرنه بأشكال هندسية أو ينسجن به خطوطاً وحروفاً وكلمات. وقد وجد بعض الشعراء في مثل هذه العصبات موضوعاً شيقاً للنظم والغزل [٥] وان من يطلع على بعض المراجع كـ(كتاب الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير) يدرك مدى اهتمام العرب والمسلمين بالجواهر والأحجار الكريمة، وحرصهم عليها، وسعيهم في جمعها، وتفاخرهم في اهدائها أو اقتنائها. وميلهم إلى ترصيع أوانيهم بها، فمن ذلك انه (... جاءت هدية شجر جارية المتوكل على الله ... وهي عشرون غزالاً ... ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة

---

(١) و (٢) فيليب حتي : العرب . دار العلم للملايين ص ١١٢ .

(٣) فيليب حتي : العرب ١٣٢ .

(٤) ل. ا. سيديو تاريخ العرب العالم ٤٨٠ .

(٥) أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء (تحقيق كمال مصطفى) الطبعة الثانية ١٩٥٣ (ص ٠ م) .

ياقوت أو زمرد أو غيرهـا من الجواهر الجليلة [١] ...) و (أهدى عمر بن الليث إلى المعتضد بالله في سنة ٢٨٣ هـ هدايا وفيها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربع أيد ، وعليها وشاحان مرصعان بالجوهر ، ومعها أصنام صغار لها أيد ووجوه عليها جواهر ..) و (.. أهدى يحكم إلى زوجته ابنة أبي عبد الله اليزيدي في السنة بعينها ... ودرجاً فيها حب لؤلؤ كبار وياقوت أحمر وأزرق يبهر الناظرين ... الخ) وذكر صاحب كتاب الموشى [٢] (عادة التختم بالعقيق الأحمر . والفيروزج الأخضر ... والياقوت الاسمـانجوني ، والبيجاذي الخراساني ... والياقوتية الصفر ، واليمانية السود ...) أضف إلى ذلك أنهم كانوا يستحسنون الجمشت وكثيراً ما كانوا يزينون به خيولهم المحببة اليهم ، وأسلحتهم الخاصة بهم ، وأدواتهم الموسيقية . وذلك في عصر كان فيه العالم الغربي يعيش في تقشف [٣] ، ويعاني من شظف العيش والحياة البسيطة المتأخرة ، مما كان يجعل الكنوز والجواهر والأحجار الكريمة المرسلة من الشرق موضع إعجابه وسبب دهشته . وهذا مايفسر ماتركته هدايا الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٦٦ ـ ٨٠٩) إلى (شارلمان ٧٤٢ ـ ٨١٤) من صدى كبير ، كما أن الصليبيين كانوا قد حملوا معهم إلى بلادهم الكثير من الجواهر والأحجار الكريمة وتحف الشرق ، فكان لذلك أثره الكبير في الذوق العام ، والرغبة في التزين والتجمل والظهور بالجواهر والأحجار الكريمة .

الجواهر والأحجار الكريمة عند البيزنطيين : اشتهرت بيزنطة باعتزازها بالجواهر والأحجار الكريمة ، وكانت في ذروة مجدها بمثابة (فردوس من الذهب والحرير واللآلىء) ، وشهد القرن السادس الميلادي أعظم عهود التجارة في الشرق ، وقد وصف الملاح المتقاعد قوزمـا الهندي Cosmas Indicoplenstes تجارة الهند [٤] ، كما تحدث Nicétas Choniatès عن تمثال هيلين زوجة قسطنطين . وقد رصع هذا التمثال بالذهب والأحجار الكريمة .

وكانت ملابس الاباطرة البيزنطيين مزركشـة ومطرزة بالجواهر إلى درجة كانت تمنعه من الجلوس . وكان تاجه مثقلاً بالذهب والفضة واللآلىء التي كانت خيوطهـا تنسدل على كتفيه . وكان الرداء مطرزاً بالذهب والمجوهرات ، وكان الحذاء مرصعاً بالأحجـار الكريمة . وقد ذكر

(١) كتاب الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير حققه الدكتور محمد حميد الله . الكويت ١٩٥٩ ص ٢٩ .

(٢) ابو الطيب محمـد بن اسحاق بن يحيى الوشاء : الموشى أو الظرف والظرفاء . (تحقيق كمال مصطفى) الطبعة الثانية ١٣٧٢ ـ ١٩٥٣ ص ١٦٢ .

(٣) Metta : P. 8

(٤) نورمان بنز : الامبراطورية البيزنطية . تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . الطبعة الثانية ١٩٥٧ ص ٢٧٩ و S. Runciman ; P. 174 .

(فازيليف) أن الامبراطور (تيوفيل ٨٢٩ ـ ٨٤٢) جعل على رأسه تاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة ، وعند عودته إلى بلاده ركع أمامه أكبر أعيان المدينة وقدموا له تاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة والثمينة [١] .

وكثيراً ما كان الأباطرة البيزنطيون يبعثون بالهدايا إلى الخلفاء العباسيين . فقد ذكر القاضي الرشيد بن الزبير ما بعثه (رومانس ملك الروم وقسطنطين اسطفانوس ... إلى الراضي بالله سنة ٣٢٦ هـ هدية نفيسة . وقد جاء في الكتاب ما يلي : ... وجهنا إلى شريف حسبك شيئاً من الألطاف ... وهو ثلاثة أقداح من ذهب مجرى فيه الجوهر ، وفلسقيتان من بلور مربط بفضة مذهب منقوش مرصع بالجوهر واللؤلؤ ، وفلسقيتان اخريان من بلور مربط بفضة مذهبة في الناحية الواحدة ، مشبكة بجواهر ، وفي وسطها درات ... وجرة أخرى فضة لها اذنان مذهبة مرصعة باللؤلؤ ، وألوان الجواهر ... وقدس آخر مذهب مرصع بالجوهر ... وسكينان اخريان نصبهما جوهر ، مغرقة باللؤلؤ والجوهر ، وغلافهما مرصع بزمرد وياقوت ولؤلؤ ...) [٢] .

وكان البندقيون أنفسهم يذهبون إلى القسطنطينية لشراء الجواهر والأحجار الكريمة منها ، وكانوا منذ القرن الثامن يعودون بها لبيعها في باريس وغيرها من المدن الأوربية . وكان أغنياء البيزنطيين يعتزون بجوهراتهم ، ولكنهم كانوا يخفونها في أيام الأزمات . ويكفي لبيان أهمية مجموعات البيزنطيين من الجواهر والأحجار الكريمة أن نذكر انه بعد حصار القسطنطينية واستيلاء (جوفروا دو فيلهاردوان J. De Villehardouin) على حصته من الغنائم قال : (ليس هناك من يعرف عدد الأحجار الكريمة) [٣] .

الجواهر والاحجار الكريمة في اوروبا : كان حكام البندقية طيلة القرون الوسطى يحتكرون صناعة وتجارة الجواهر والاحجار الكريمة والناعمة التي كان يصدرها إليهم تجار حلب ومصر والهند [٤] وفي عصر النهضة لمع عدد من المختصين بقطع الياقوت وتميزوا بمواهبهم وذوقهم

---

(١) فازيليف : العرب والروم : ترجمه محمد عبد الهادي شعيره ، راجعه فؤاد حسين علي . دار الفكر العربي ص ٩٩ .
(٢) القاضي الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف ص ٦ .
(٣) و (٤) N. Et A. Metta : Les Pierres Precieuses . p. (8) . (9)

في عصر بدأ فيه اللؤلؤ والماس ، والياقوت والسفير ، والزمرد والعقيق ، والجمشت والزبرجد ، « يزين الاصابع في الخواتم ، والذراعين في الاساور ، والرأس في الأكاليـل ، والاذنين في الاقراط » (١) وغدت الملابس تزين باللآلىء . حتى أن بعض الفرنسيين الذين زاروا مدينة (مانتو) قد ذهلوا حين رأوا المركيزة (ازبلا) (٢) تلبس قلنسوة ذات ريش من الجواهر .

وبعد ما كانت الجواهر والاحجار الكريمة ترد من الشرق ، أدى اكتشاف العالم الجديد إلى ملء أسواق اوروبا بالزمرد واللؤلؤ وغيرهما من الجواهر والاحجار الكريمة . وفي عهد لويس الرابع عشر كان الاثاث يشتمل على كؤوس وأواني نحتت من الزمرد . وقد بلغ ولع الملكات والأميرات وحُبُّهن توصيع ملابسهن بالجواهر والاحجار الكريمة درجة جعلتهن من المتعذر عليهن السير وحدهن ، إذ يكفي لبيان ذلك أن نذكر أن ثوب الملكة آن النمساوية (١٦٠١ - ١٦٦٦) كان مزيناً بما لا يقل عن اثنتين وتسعين ألف لؤلؤة ناعمة . (٣) وكان الصائغون قد جعلوا المعدن الثمين غير ظاهر وذلك لابراز الاحجار الكريمة التي كانت لها الاهمية الرئيسية مما كان يجعل جيد الحسناء يبدي المياه الألماسية . ولكن ازدياد الوعي الشعبي وقوة نفوذه ماحد شيئاً فشيئاً من ولع الملكات والاميرات بالجواهر والاحجار ، الكريمة ويوضح ذلك بأن ملكة فرانسا ماري انطوانيت (١٧٥٥-١٧٩٣) رفضت شراء عقد قائلة بأن (فرانسا بحاجة ماسة إلى مركب أكثر مما هي بحاجة الى عقد) . فأخذت الجواهر والاحجار الكريمة تختفي تدريجيـاً كمظهر ترف ودليل غنى ، وشارة لمركز اجتماعي ، إذ « أن الظهور بها ربما كان يؤدي بصاحبتها إلى المقصلة » ، وعند ما تأكد الحكم الشعبي أخيراً ، أخذت مجموعات الجواهر والاحجار الكريمة تهاجر لتستقر نهائياً في اميركا أو ترسل الى المتاحف الوطنية لتحفظ فيها وتصبح ملكاً للجميع .

وأخيراً لا بد أن نشير الى ملاحظات المؤرخين الذين يؤكدون بأن ولع الغرب بالجواهر والاحجار الكريمة لا يعتبر شيئاً مذكوراً إذا ما قورن بولع ملوك الشرق وحكامه بهـا . فالهنود ما زالوا يميلون الى جمع الجواهر والاحجار الكريمة ، ويقال ان نظام حيدر آباد (٤) يملك أعظم مجموعة من الجواهر والاحجار الكريمة .

(١) ديورانت : قصة الحضارة رقم ٢١ ص ١٠٤ .
(٢) ديورانت : قصة الحضارة رقم ٢١ ص ١٠٥ .
(٣) Metta : p. 10
(٤) Metta : p. 10

تصنيف الجواهر والاحجار الكريمة : يعتبر الاغريق أول من صنف الجواهر والاحجار الكريمة . فقد درسوها دراسة علمية . ولكن من الانصاف أن نذكر اطلاعهم على المراجع الشرقية القديمة ، واستفادتهم منها .

وقد اهتم بعض الطبيعيين بدراستها ، ومن هؤلاء نذكر (ثيوفراست Theophraste)[١] (٣٧٢ - ٢٨٧ ق . م) و (بليني القديم) (٢٣ - ٧٩) و (صولن Solin) (وايسيدور الاشبيلي) الذين تعتبر كتاباتهم بمثابة دليل لكل باحث في موضوع الجواهر القديمة والاحجار الكريمة . ولكن لا بد من الاشارة إلى أن مـا اعتبره بعضهم حجراً ثانوياً ذهب الآخرون إلى اعتباره جوهراً أو حجراً كريماً وثميناً . كما أن بعضهم اعتبر حجراً ما ليس هو بحجر كاللؤلؤ مثلاً . وذهب بعضهم إلى تصنيفاتهم للجواهر والأحجار الكريمة معتمداً على اللون والخصائص السحرية ... الخ .

ومن الباحثين في موضوع الجواهر والأحجار الكريمة نذكر (نصر الجوهري) الذي وضع كتاباً فيما اقتبس منه فيما بعد كل من (البيروني) و (التيفاشي) (ــ ١٢٩٣) . وقد زود العلماء العرب والمسلمون المكتبة بمؤلفات هامة ، عالجوا فيها موضوع الجواهر والأحجار الكريمة . ومن هذه المؤلفات القيّمة نذكر كتاب (ازهار الأفكار في جواهر الأحجار) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي المتوفى في ٦٥١ هـ ١٢٩٣ م و (الجماهر في معرفة الجواهر) لمحمد بن أحمد البيروني المتوفى في ٤٣٠ هـ و (نخب الذخائر في أحوال الجواهر لمحمد أمين الأكفاني) وكتاب (التبصر في التجارة في وصف ما يستظرف في البـلدان من الأمتعة الرفيعة والاعلاق النفيسه والجواهر الثمينة تأليف أبي عثمان عمرو بن عمر الجاحظ البصري . وقد عني بنشر هـذا الكتاب العالم التونسي الكبير حسن حسني عبد الوهاب . أضف إلى ذلك كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للامام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني ويذكر المؤرخون والمؤلفون تصانيف وتآليف علمية هامة تتعلق بالجواهر والأحجار الكريمة فقدت في فترات مضطربة امتدت خلالها يد التخريب الى المؤلفات العلمية نفسها .

---

(١) الف كتابه De Lepidibus وموضوعه الأحجار . وقد اعتبر أقدم رسالة تصف خواص الصخور والمعدنيات ومصادرها وفوائدها وقد خصص ربعه للجواهر والأحجار الكريمة عجائب عالم الجماد . ووصفها وبين خواصها الطبيعية كالثقل واللون ، والشفافية والبريق ، والقابليـة للكسر والانصهار والصلابة ، وأماكنها وأثمانها . وقد اقتبس معلوماته من كل ركن من أركان العالم القديم . انظر كتاب (تاريخ العالم) تأليف جورج سارتون الجزء الثالث . ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ .

ولمع في اوروبا الجوهري الفلمندي (لويس دو بيركيم Louis de Berquem) كمختص بالأحجار الكريمة وفيما بعد ترك (روبير دو بيركيم) مؤلفه (عجائب الهند Les Merveilles de l'Inde) وتصنف الكتب الحديثة والمعاجم والموسوعات الأحجار الثمينة كما يلي :

الفئة الأولى وهي الأحجار الثمينة التي تشمل على (الياقوت واللعل الأحمر ، والزمرد ، والسفير ، والزبرجد ، والجمشت ، والبيجادي السيلاني ...) تستخدم في ترصيع الحلي والمجوهرات الثمينة وهي قاسية وشفافة ونادرة ، وتنسب ألوانها الى وجود الأكاسيد المعدنية فيها .

الفئة الثانية وهي الأحجار الكريمة اللطيفة التي تشتمل على (الخلقيدوني ، والسرديني ، والعقيق واليشم ، وعين الهر ، والفيروز ... الخ وتتصف بأنها أقل ندرة من الأحجار الثمينة ، كما انها أقل صلابة وشفافية فهي معتمة تلائم الزينة ، وتقبل النقش ، ولها امكانية ابداع الأواني منها[١] .

وإذا كانت بعض هذه الأحجار الثمينة والكريمة تظهر في الصخور النارية ، فان بعضها الآخر يستخرج من الصخور الرسوبية أضف إلى ذلك الجواهر التي تعود إلى مملكة النبات أو الحيوان وهي تنافس الأحجار الثمينة والكريمة بجمالها وبريقها ، وتألقها ومائيتها ، وشهرتها والاقبال عليها . ولكنها ليست لها صلابة الأحجار أو ثباتها مع الزمن .

١ ـ الياقوت : يعتبر الياقوت أهم الأحجار الثمينة وأكثرها صلابة ، وأجملها بريقاً ، وأشدها تألقاً ، وما زال من أكثر الأحجار الثمينة اقبالاً عليه ، وولعاً به ، لما تميز به من شفافية ومائية ، أضف الى ذلك ان لشعاعه في الليل ضوء الشمع الأحمر . ومن ألوانه : ١ً ـ الياقوت الأحمر وهو أعلاه مرتبة وأرفعهـــا قيمة ومن أنواعه الرماني ، والبهرماني والارجواني ، واللحمي ، والبنفسجي والجلناري بلون زهر الرمان والوردي . ٢ً ـ الياقوت الأصفر . ٣ ـ الياقوت الأزرق الذي تتدرج الوانه من الكحلي اللون فالنيلي فاللازوردي فالسماني . ٤ ـ الياقوت الأبيض .[٢]

وإذا كانت الهند في الماضي قد زودت العالم القديم به ، فان افريقيا تنتج وحدها ٩٦٪ من الانتاج العالمي ، ويعود فضل اكتشافه فيها الى ان أحد القرويين البويريين اطلع أحـــد صيادي النعام في منطقة الاورانج Orange على حصى لامعة كان يلعب بهـــا أولاده الذين عثروا عليها قرب نهر[٣] ، ومنذئذ بدأ الباحثون عن الأحجار الثمينة يتجهون إلى افريقيا ولا سيما الكونغو

---

(١) Saglio : T II p. 1487

(٢) نخب الذخائر في أحوال الجواهر تأليف محمد ابراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني . المطبعة العصرية ١٩٣٩ ، ص ٢ .

(٣) N. Et . A. Metta : Les pierres precieuses p. 63

وغانا وانغولا وجنوب افريقيا . وقد حدثني أحد زملائي أقام مدة طويلة في مصر انه يوجد في جنوب اسوان ياقوت أبيض له شعاع في الليل وبريق فائق .

ويحتفظ المتحف الوطني بدمشق بخاتم ذهبي رقمه (٤٠٨٨) رصع بفص ياقوت بنفسجي اللون . وزوج قرط ذهبي رقمه (٥٧٢٨) يزينه فص ياقوت بنفسجي اللون . أضف إلى ذلك بعض العقود والأطواق الذهبية المزينة بالياقوت نذكر منها ذات الرقم (٦٠١٣) .

٢ ـ **اللعل** : يفيد اسمه في اللغة اللاتينية معنى الأحمر ، وهو حجر ثمين قاس شفاف وصاف برّاق له لون أحمر غامق ، وهو في مرتبـة الياقوت من حيث اللون والبريق ، ولكنه أقل صلابة منه ، وتنسب الأساطير الشرقية القديمه لونه إلى لون دم بطل وقع في نهر سنفالي فتخثر كجوهر أحمر لامع .ويتميز اللعل بأن لونه يبقى رائعاً لا مثيل له في أي حجر ثمين آخر . وقد اتخذ رمزاً للحب . ويرى البعض ان بعض الأحجار القديمة هي من نوع البلخش Spinelle ولكنها تعرف باسم اللعل . ومن أنواعه الوردي اللون ، والأصفر الوردي .

وفي المتحف الوطني بدمشق قرط ذهبي رقمه (٨٩٨٤) يزينـه حجر أحمر ربما كان من نوع اللعل .

٣ ـ **الزمرد** : يتميز الزمرد بلونه الأخضر الجميل وجودة مائيته ، وفتنة بريقه . ويعتبر من أقسى الاحجار الثمينة بعد الياقوت ، وكانت منطقة النوبة في مصر من أغنى المناطق به ، وكان يؤتى به من قبرص أيضاً . ومن انواعه ما كان يسمى بـ (الريحاني) و (السلقي) ...(١)

ويعتبر الزمرد في عصرنا الحاضر من اكثر الاحجار الثمينة التي نجح تقليده . وتمكن معرفة الزمرد الحقيقي باستخدام العقيق المحدد الذي إذا خدشه اعتبر من أشباه الزمرد .

وفي المتحف الوطني بدمشق مشابك ذهبية رصعت بأحجار زمرد صغيرة . أهمها المشبك الذهبي رقم ٢٨٥٤ جعله الفنان يمثل امرأة بارزة النهدين تحيط بها مجموعة من احجار الزمرد والسيلوني مختلفة الحجوم ، يسودها انسجام الألوان بين لون الذهب الأصفر والسيلاني الأحمر والزمرد الأخضر .

ومن الاطواق نذكر الطوق الذهبي (رقم ٦٠١٢) يتألف من سلسال ذهبي دقيق وبسيط رصع بثلاث عشرة زمردة وسبع لآلىء وخرزات بنفسجية اللون كالياقوت بما يضفي عليه جمال اللون الاصفر الذهبي والابيض المتلألىء والاخضر الزمردي والبنفسجي الياقوتي . وهناك الطوق

---

(١) نخب الذخائر في أحوال الجواهر ص ٤٨
كتاب الجماهر في معرفة الجواهر تصنيف الأستاذ أبي الريحان محمد بن احمد البيروني . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ ، ص ١٦٠ .

الذهبي (رقم ٢٥٨٠) الذي يتألف من سلسال ذهبي بسيط ودقيق يضم عشرة قطع من الزمرد ، وتزينه مدالية ذهبية صغيرة رصعت بزمردة صغيرة . والطوق الذهبي (رقم ٤٠٦٢) الذي يتألف من سلسال ذهبي دقيق وبسيط يضم ست عشر زمردة خضراء وست عشرة لؤلؤة صغيرة .

ويلاحظ مدى اهتمام الفنان بإبراز أهمية الاحجار الكريمة ، وجعل السلسال الذهبي بسيطاً له دور بديعي ثانوي لأن مهمته الرئيسية هو جمع الاحجار الكريمة ذات الألوان المنسجمة والاشكال اللطيفة .

ومن الخواتم الذهبية المرصعة بأحجار الزمرد نذكر الخاتم الذهبي (رقم ٢٥٨١) يزينه فص زمرد . والخاتم الذهبي (رقم ٧٠٠٤)المرصع بحجر زمرد مقبب ، والخاتم الذهبيالمزدوج (رقم ٧٦٦٩) رصع بفص زمرد . وكثيراً ما كان الصائغ يستخدم أكثر من حجر ثمين واحد في ترصيع الخواتم ، ففي المتحف الوطني بدمشق خاتم ذهبي رصع بفصين احدهمـــا من الزمرد والثاني من السيلاني مما شكل مجموعة من الألوان الجميلة وهي : لون الذهب الاصفر . والزمرد الاخضر ، والسيلاني الأحمر .

وكثيراً ما تكون فصوص الزمرد بيضوية الشكل أو مربعة الشكل . ولدينا خاتم ذهبي (رقم ٧٩٩٥) رصع بزمردة مربعة الشكل .

وابدع الصائغ القديم في ترصيع الاقراط الذهبية بأحجار الزمرد . وقد حفظ في المتحف الوطني عدد منها ، نذكر منها : القرط الذهبي (رقم ٧٠٦٧) تزينه زمردة خضراء ولآلىء صغيرة . والقرط الذهبي (رقم ١٣٦١٥) الذي تزينه زمردة صغيرة ، والقرط الذهبي (رقم ١٥١٦٦) الذي يتألف من حلقة ذهبية يتقدمهـــا قرطي ذهبي مخرم رصع بحجر سيلاني وفي أسفله شكل يضم زمردة خضراء شبه اسطوانية .

أضف إلى ذلك العناصر الذهبية التزيينية ذات الشكل المخروطي المرصعة بالزمرد . نذكر منها العنصر التزييني الذهبي (رقم ٣٥٥٨) تزينه خيوط ذهبية وزمردة صغيرة وحجر سيلاني أحمر . ولا شك أن الترصيع بأكثر من حجر ثمين واحد مما يؤكد من جديد مدى تذوق القدماء لرؤية الانسجام بين الألوان . كما نذكر العنصر التزييني الذهبي (رقم ٣٥٥٢) الذي يتألف من شريطين أحدهما بشكل دائرة والآخر له شكل اجاصي يتوسط كلا منها شكل خطين متقاطعين تتوسطها زمردة ،

رقمه ٣٥٦٦ وأخيراً لا بد من الإشارة إلى فصوص الزمرد التي وصلتنا بشكل نصف كروي (كالزمرده ذات الرقم ١٤٧٣١) أو شبه كروي (كالزمردة ذات الرقم ١٤٧٣٥) أو بشكل له عدة سطوح (كالزمردة ذات الرقم ٧٦٧٢ التي تتميز بسطوحها الستة) .

٤ ـ سفير : يعتبر حجر سفير من الأحجار الثمينة . ويرى البعض ان اسمه مشتق من عبارة (سفر الصبح إذا أضاء وأشرق) يكثر في سيلان والهند ، وتذكر الأسطورة ان عينين جميلتين تشبهان وريقات زهرة اللوتس ، كانتا قد سقطتا في نهر فتكاثرتا بمعجزة . ولونه يكون أحمر أو وردي ولا سيما أزرق .

٥ ـ الزبرجد : اشتق اسمه من لفظ (الزبرج) أو (الزبرقة)[١] وهو ما يفيد الصبغ بحمرة أو صفرة . وهو حجر ثمين لونه أصفر أو وردي اللون ، يتميز بصلابته وبريقه الزجاجي وشفافيته وقد أطلق اسمه في الماضي على أكثر الأحجار الكريمة الصفراء .

وليس له فى متحفنا الوطني نموذج له .

٦ ـ الجمشت : يفيد اسمه معنى « غير مسكر[٢] » لأن القدماء قد عرفوا خصائصه التي أهمها حفظ الإنسان من الغيبوبة بعد تناول الخمر . وهو حجر ثمين يشبه الياقوت البنفسجي اللون يغلب عليه اللون الوردي والسماوي ومن أنواعه ما كان مُغَشّى ببياض كالثلج على وجهه حمرة . وهذا ما جعل القدماء يستخدمونه ، وينقشون عليه الصور . وكان يوجد في الحجاز قرب المدينة ، وفي اسبانيا قرب قرطجنة ، أضف إلى ذلك قبرص وتازوس والهند . وفي المتحف الوطني بدمشق مشبك ذهبي رقمه (٦٤٢٥) يتوسطه حجر كريم يتألف من لون أبيض تعلوه طبقة حمراء اللون . وقرط ذهبي نسيجي الصنعة (رقمه ١٢١٦١) رصع بحجر ثمين لونه أحمر عقيقي تعلوه طبقة بيضاء نقشت عليها صورة ديك (؟) .

٧ ـ البيجادي أو السيلاني : ومن أسمائه المعربة (البيجادق) و (البيجذق) و (البجاذة) و (البزادي) . وهو حجر كريم أحمر اللون شفاف يشبه الياقوت[٣] . وأجواد أنواعه ما اشتدت حمرته . ومن أنواعه ما تشوبه الصفرة ، أو ما كان شديد الحمرة مائلاً إلى السواد . وفي المتحف الوطني مجموعة كبيرة منه وصلت الينا مرصعة الخواتم والمشابك والأقراط الذهبية .

فمن الخواتم نذكر الخاتم الذهبي (رقمه ٦٤١٨) يتميز بأنه بسيط ولكنه مرصع بحجر سيلاني . والخاتم الذهبي (رقمه ٥٥٧٥) الذي يرصعه فص سيلاني مستدير الشكل . والخاتم الذهبي

---

(١) و (٢) و (٣) نخب الذخائر في أحوال الجواهر ص ٥٤ و ٦٧ و ١٧ .

(رقمه ٧٦٧٦) يزينه فص سيلاني ، والخاتم الذهبي (رقمه ١٢٠٨٠) يعلوه فص سيلاني صغير . والخاتم الذهبي (رقم ٧٠٨١) رصع بفص سيلاني شبه بيضوي الشكل . وكثيراً ما كان الصائغ يرصع الخواتم بأكثر من حجر ثمين واحد . وكنا ذكرنا ان الخاتم الذهبي (رقم ٥٩٣٦) رصع بحجرين ثمينين أحدهما سيلاني والآخر زمرد أخضر . ويتميز الخاتم الذهبي (رقم ٤٥٤٨) بانه مرصع بحجر سيلاني كبير لوزي الشكل أما الحجر السيلاني الذي يرصع الخاتم الذهبي رقم (٣٥٦٤) فانه مستدير الشكل .

أضف إلى ذلك الخواتم الذهبية المرصعة بأحجار السيلاني وقد نقش عليها الفنان مشهد من المشاهد نذكر منها الخاتم الذهبي (رقم ٧٨٠٤) مرصع بحجر سيلاني نقش عليه مشهدرأس امبراطور .

ومن المشابك نذكر المشبك الذهبي (رقم ١٢٤٨٤) يتوسطه حجر سيلاني صغير ، والمشبك الذهبي (رقم ٥٩٣٧) الذي يزينه حجر سيلاني مستدير . ولا سيما المشبك الذهبي (رقم ٢٨٥٤) الذي رصع بأحجار الزمرد والسيلاني . ومن الأساور نذكر السوار الذهبي المبسط (رقم ١٢٢٢٤) المرصع بحجر سيلاني صغير .

ومن الأقراط نذكر القرط الذهبي (رقم ١١٠٠٠) الذي يتألف من حلقة ذهبية رصف عليها صفان من الكرات الذهبية وزين بحجر سيلاني . ويعود هذا النوع من الأقراط الى القرن الأول ، كما عثر على عدد من الأخراص الذهبية لها شكل الهـلال رصع جانبه بحجر سيلاني (ارقامها : ١٣٤٢٣ ، ١٢٠٨٦ ، ١٢٠٦٩ ، ١٢٠٦٨ ... الخ) وأقراط ذهبية تزينها اقراص مرصعة بحجر سيلاني ، ويتدلى منها تمثال ايروس (رقم ٥٤٤٠) . أضف إلى ذلك الأقراط الذهبية المؤلفة من حلقة ذهبية يتقدمها قرص ذهبي مرصع بحجر سيلاني ، وفي أسفلها كرات ذهبية عنقودية الشكل يزينها حجر سيلاني صغير . (أرقامها : ١٣٢٩٠ و ... الخ) والأقراط الذهبية النسيجية الصنعة المرصعة بحجر سيلاني ، وتتدلى منها ذؤابات ذهبية يضم بعضها أحجار سيلاني . (أرقامها : ١٣٠٨٣ ،

وفي تل أبي صابون اكتشف سوار ذهبي (رقمه ٢٣٠٠) نسيجي الصنعة ، يزينه ثلاثة عشر حجر سيلاني صغير بيضوي الشكل ، بعضها فاقع اللون ، وبعضها فاتح . وسوار آخر مماثل (رقمه ٢٣٠١) يزينه ثمانية أحجار سيلاني صغيرة .

ويزين القلادة المستديرة (ذات الرقم ٣٥٥٠) أربعة أحجار سيلاني كبيرة لها شكل لوزي ، وحجران صغيران من الزمرد أضف الى ذلك بعض العناصر التزيينية المزينة بأحجار السيلاني (كالأثر ذي الرقم ٦٧٤٩) والأخزمة الذهبية المؤلفة من حلقة ذهبية يتقدمها قرص وصع بحجر سيلاني ، ويتدلى منها سلسال تتصل به وريقة ذهبية لها شكل قلب ينتهي بشريط دقيق الطرف يضم أحياناً حجر سيلاني أو العقيق أو خرزة زجاجية .

ب - **احجار كريمة من نوع السليكس** : وهي كما ذكرنا سابقاً أقل ندرة من الاحجار الثمينة السابقة . واقل صلابة وشفافية ، ويعتبرها البعض أنواعاً من السيليكس تمتاز بنقاوتها وصفائها وجمال ألوانها . وهي كما يلي :

١ - **الخلقيدوني** : اطلق هذا الاسم عليه نسبة إلى مدينة في (بيثينيا) . وكان القدماء يطلقون اسم Carchedonius عليه وعلى أنواع الكوارتز ذات اللون الأبيض السديمي والأزرق الفاتح . وكانوا يستخرجونه من مصر والهند وأفريقيا . ويستخدمونه في ابداع التحف من كؤوس وأوان . وله أنواع متعددة ، لكل منها لون ، ويتميز بطبقاته الطبيعية ذات الألوان المختلفة وقد انتبه بعض الفنانين إلى هذه الخصائص فاستخدموه في ترصيع الخواتم والأطواق بعد ما نقشوا عليه الصور النافرة والغائرة .

وفي المتحف الوطني عقد ذهبي (رقم ٧٠١٢ مكرر) تزينه مدالية مرصعة بحجر كريم مؤلف من ثلاث طبقات طبيعية مختلفة الألوان ، استخدمهـــا الفنان في ابراز صورة نافرة جانبية لحسناء .

وأخيراً لا بد أن نشير إلى أجمل حجر كريم يحتفظ به المتحف الوطني بدمشق لأنه من أكبر الاحجار المعروفة حتى الآن لونه سماوي نقش عليه مشهد (سيبيل) فوقم أسد بأسلوب فني يدل على أنه من ابداع فنان موهوب (مسجل تحت رقم ٣٥٠٦) .

٢ - **الجزع** : وهو حجر قاس وناعم ، يتميز بطبقاته الطبيعية المختلفة الألوان التي كانت تساعد الفنان على ابداع الصور النافرة . وهذه الطبقات الطبيعية ذات لون أحمر غير شفاف ، وأبيض غير شفاف ، وبلوري شفاف [١] . واعتبر أجود أنواعه ما تساوت طبقاته من حيث الرقة وزادت نعومة سطحه .

---

(١) نخب الذخائر في أحوال الجواهر : ص ٨٦ .

وفي المتحف الوطني مشابك ذهبية رصعت بحجر مؤلف من عدة طبقات طبيعية مختلفة الألوان استخدمها الفنان في إبراز صورة أمامية نافرة لأميرة (؟) (كالمشبك الذهبي رقم ٦١٨٢) أو صورة جانبية نافرة (كما هو الحال في المشبك الذهبي رقم ٤٣٦١).

٢) — **العقيق** : اعتبر البعض حجر العقيق نوعاً من أنواع الخلقيدوني[١] والليشم شبه الشفاف. يتميز بلونه الأحمر ، وشبه شفافيته . ولكن توجد له أنواع أخرى (كالرطبي) الذي يكون بلون أحمر يميل إلى الصفرة ، وهناك الأزرق اللون والأسود والابيض . وأجود أنواعه العقيق اليماني الشديد الحمرة. وتزداد قيمته بنسبة صفائه واشعاعه . وقد استخدم العقيق بكثرة في الحلي الثانوية والاختام القديمة

وفي المتحف الوطني مجموعة هامة من العقيق عثر عليها مع الخواتم والعقود ، والاقراط والاساور ، والمشابك وغيرها . كما وصلتنا مجموعة من فصوص العقيق نقشت عليها مشاهد مختلفة (ميثولوجية مما صور بشرية شخصية ، مشاهد حيوانات ذات قيمة رمزية ، مشاهد نباتات ...) .

ففي تل أبي صابون قرب حمص عثر على خاتم ذهبي (رقمه ٣٢٨٨) رصع بحجر عقيق مبسط وله شكل بيضوي نقشت عليه نقشاً غائراً صورة (آبولون) باسلوب فني يذكرنا بعمالقة فن النحت . ويعود هذا الأثر إلى القرن الأول الميلادي أي في زمن ازدهار حمص في عهد اسرة سميسيجرمس الوطنية الحاكمة في حمص . وهناك خواتم أخرى كثيرة مرصعة بأحجار عقيق نقش عليها مشهد غزال يسير ملتفتاً إلى الوراء (كما هو الحال في الخاتم ذي الرقم ١٣١٤٧) أو مشهد ثور يسير رافعاً ذيله وهو يهم بالتقاط غذائه من الأرض (رقم ٥٧٤٦) أو مشهد حصان مجنح (رقم ٥٧٢٧) أو مشهد شجرة أو آلة موسيقية (رقم ١٣٢٤٤) أو مشهد شخص يحمل عنقود عنب (؟) (رقم ١٣٢٤٥) أو مشهد نسر (رقم ١٣٢٤٣) أو مشهد محارب (رقم ٦١٨٤) أو مشهد شخص يحمل قرن الخصب (رقم ٣١٢٤) أو مشهد رحالة (رقم ٧٦٧٧) أو مشهد صور ووجوه بشرية (كما هو الحال في الخاتم الذهبي المرصع بحجر عقيق (رقمه ٣٥٦٩) و (٧٥٤٤) و (١٩٤١) و (١٥٤٣) أو مشهد إله (زيوس) يبدو جالساً باسطاً يمناه إلى الأمام (رقم الأثر ٧٥٤٤) أو مشهد (آبولون) يحمل بيمناه آلة موسيقية (رقم ٣٢٢٥) أو مشهد (ربة النصر ٦٤٣٦) أو مشهد كف إنسان (رقم ٤٠٥٤) أو مشهد ربة على أسد (رقم ٣٠٧٢) أو مشهد شخصين (رقم ١٧٩٥) .

ولدينا مجموعة من الاقراط الذهبية المرصعة بأحجار العقيق نذكر منها القرط الذهبي (رقم ١٣٠٨١) الذي يتألف من حلقة ذهبية يتقدمها قرط ذهبي مرصع بحجر عقيق يشوبه البياض . والقرط الذهبي (رقم ١٣٤٣٤) النسيجي الصنعة يتوسطه حجر عقيق ، والقرط الذهبي (رقم

(١) نخب الذخائر في أحوال الجواهر ص ٨٦ .

١٣٢٣٧) المؤلف من حلقة ذهبية ، يتصل بها قرص ذهبي نصف كروي ، ويتدلى منها شريط طرفه دقيق يضم خرزة عقيق . والقرط الذهبي (رقم ١٣١٣٥) المرصع بحجر عقيق .

ومن العقود والأطواق الذهبية المرصعة بأحجار العقيق نذكر العقد الذهبي (رقم ٤٩٧٧) المؤلف من سلسال ذهبي يضم عشر حبات من العقيق ذي السطوح المتعددة . والعقد الذهبي (رقم ١٣٧٢٢) المؤلف من سلسال يضم أربعة أحجار عقيق مضلعة ، وحجراً بنفسجي اللون كالياقوت .

ووصلتنا مجموعة هامة جداً من فصوص العقيق ذات النقوش الغائرة . وربما كانت هذه الفصوص ترصع خواتم معدنية (فضية أو نحاسية أو حديدية) انتكلت أو نزعت عنها وضاعت . وتتميز هذه الفصوص بنقوشها الجميلة التي تدل على مدى ما وصل اليه الفنان في النقش على الأحجار الكريمة ، والثقافة التي كانت سائدة في ذلك العصر ، ومدى تذوق الصور الشخصية ، والميل إلى رؤيتها منقوشة على العقيق ، وكثرة الصور الرمزية التي كان القدماء يستحسنونها .

فمن المشاهد (الميثولوجية) المنقوشة على أحجار العقيق نذكر صورة الربة (أثينا) المنقوشة على حجر عقيق بديع يرصع خاتماً برونزياً مؤتكلاً اكتشف في حوران (رقمه ١٢٥٩٣) ، وصورة الربة (مينرفا) المنقوشة على حجر عقيق رقمه (٨١١٨) ومشهد يمثل (زيوس) يبدو جالساً وباسطاً يسراه نقش على حجر عقيق رصع به خاتم حديدي (رقمه ١٢٠٨٧) ، وصورة ملاك يبدو في يمناه اكليل ، نقشت على حجر عقيق (رقمه ٩٤٧٩) . ومنظر قائد (؟) يحميه ملاكان مجنحان ، وهو يبدو بين جنوده ، نقش على حجر عقيق (٥٣٥٩) . ومشهد ملاك مجنح يبدو بين حيوانات متناظرة نقش على حجر عقيق (رقمه ٧١١٧) وصورة نسر إلى جانبه طفل نقشت على حجر عقيق (رقمه ٥٠٢٨) .

ومن أطرف الصور المنقوشة على أحجار العقيق نذكر صورة ثلاثة وجوه ملتصقة ببعضها نقشت على حجر عقيق رصع به خاتم ذهبي (رقمه ٨٢٥٥) .

ومن صور الوجوه البشرية المنقوشة على حجر العقيق نذكر صورة الوجه البديع المنقوش على حجر عقيق رصع به خاتم نحاسي (رقمه ١٤٧٢٦) .

ولا بد من الاشارة إلى صورة (المحارب الذي يبدو رافعاً يمناه وفي الجهة اليسرى ترسه) نقشت على حجر عقيق (رقمه ١٢٧١٤) . ومشهد فارس نقش على حجر عقيق رصع به خاتم نحاسي (رقمه ١٢٣٠٢) .

ومن صور الحيوانات المختلفة المنقوشة على حجر العقيق نذكر صورة (النسر يلتفت إلى الوراء وهو يمسك الاكليل بمنقاره) نقشت على حجر عقيق رصع به خاتم مؤتكل (رقمه ١٢٣٠١) . ومشهد بقرة أو ثور نقش على حجر عقيق (رقمه ١٣٨٦٥) ومنظر حصان (رقمه ٢٧٢٤) ومشهد (بطة أو اوزة ذات ريش مرتفع) نقش على حجر عقيق (رقمه ٨٠١٠) ومنظر (حيوانين : غزال (؟) وأرنب (؟) نقش على حجر عقيق (رقمه ١٣٢٥٠) ومشهد (نملة) نقش على حجر عقيق (رقمه ١٣٨٢٦) وآخر (رقمه ١٣٨٦٨) ومنظر (سمكتين) نقش على حجر عقيق رقمه (٩٦٨٠) . ومشهد (أسد ينقض على فريسته الغزال (؟) نقش على حجر عقيق (رقمه ١٣٢٥٠) ، وهو من المشاهد المألوفة . ولكن لابد من الاشارة إلى أهمية صور الحيوانات التي أتينا على ذكرها . إذ أن لكل منها أهميته الميثولوجية ، وصفته الرمزية . فالنسر هو سيد الطيور يرافق (زيوس) رب الأرباب ومن معجزاته أن الصواعق لاتصل اليه . كما يعتبر الثور رمزاً لعبادة (زيوس) و (حدد) الارامي . والبقرة رمزاً للأضحية المفضلة عند الربة (اثينا) . كما أن الحصان يعتبر كأضحية رسمية مقدمة إلى (مارس) ، وكان الحصان يظهر في عدد من الطقوس والاحتفالات الدينية ، ولا عجب فهو الذي يقود عربة النصر . والديك هو الحيوان الخاص بآلهة الطب اسكولاب . وكانت (النملة) تعبد في تساليا حتى أن الميرميدونيين كانوا يعتبرونها كأصل لعرقهم . وكانت الاوزة مقدسة تقدم للربة ايزيس في روما ، وكان للسمكة أهميتها في عبادات ارتميس ، وكانت (السلحفاة) ذات أهمية لأنها ترافق افروديت ... الخ .(١)

وأخيراً لابد من ذكر أحجار العقيق التي أبدع الفنان في جعلها بشكل سلحفاة (رقم ١٢١٩٩) ورقم (١٤٧٤٠) أو ديك يزين الخزام الذهبي (رقم ١٣٨٢٨) . أو قلب بشري نقش عليه مشهد طائرين متناظرين بأسلوب بديع يدل على جمال النقش وروعة الرمز .

أضف الى ذلك أحجار العقيق التي نقشت عليها مشاهد نباتات (سنابل أو وردات) نذكر منها حجر عقيق (رقمه ١٤٣٦٩) نقش عليه مشهد ملاك يحمل في يمناه سنبلة (؟) . ولا تخفى أهمية الأشجار الى درجة عبادتها في بعض الطقوس القديمة (٢) .

---

(١) و (٢) P. Lavedan : Dictionnaire Illustre de la Mythologie P. 57

وهناك الأطواق الكثيرة المكتشفة في اوغاريت ومختلف مناطق حوران ، نذكر منها الأطواق المسجلة لدينا تحت رقم (١٣٨١٨) و (١٤٠٤٠) و (١٣٦٦٢) المؤلفة من حبات مختلفة الحجوم من العقيق الجميل . وقد تفنن الفنان القديم في بعض الأحيان برسوم بيضاء أبدعها على أقراص العقيق الأحمر والوردي .

وهناك الخواتم المصنوعة من العقيق نفسه نذكر منها رقم (١٤٢٢١) و (١٤٢٢٣) .

٤ ـ **الفيروز** : يفيد اسم حجر الفيروز في اللغة الفارسية معنى (النصر) لهذا كان يسمى بـ (حجر الغلبة) ، كما يسمى أيضاً بـ (حجر العين) لأنه يدفع عن حامله شر العيون المؤذية[١] . وكان الملوك يميلون اليه لأنهم كانوا يعتقدون بأنه يدفع كارثة القتل عن صاحبه .

يتميز الفيروز بلونه الأزرق ، ويتصف بعدم شفافيته . ومن أنواعه (الاسمانجوني : أي السماوي اللون) ، ويعتبر أجوده ما كان أزرق صافياً مشرقاً . وقد اشتهرت به قديماً جنوب شبه جزيرة سينا .

وفي المتحف الوطني عدد من الحلي الذهبية المزينة به نذكر منها الخاتم الفضي المرصع بحجر فيروز لونه أزرق فاتح وله شكل بيضوي (رقم ١٠٢٩٥) والقرط الذهبي المزين بالفيروز (رقم ٧٠٠٣) ، والخاتم الذهبي المرصع بحجر صغير من الفيروز (رقم ٣٥٦٢) .

٥ ـ **حجر عين الهر** : لا بد أن نشير بشكل خاص إلى حجر (عين الهر) الذي كان قد وصفه التيفاشي بأنه (عجيب الشكل ... وانه يرى في باطنه نكتة إلى الزرقة على قدر ناظر الهر[٢] ...) ، اذ ان المتحف الوطني بدمشق يحتفظ بمجموعة هامة منه ، بعضها ما زال يرصع الحلي المختلفة ، نذكر منها السوار الذهبي (رقم ١٣٢٢٤) الذي يزينه حجر عين الهر المؤلف من ثلاث طبقات ذات ألوان طبيعية مختلفة هي بلون رمادي فوقه أبيض سماوي يعلوه لون بني . والمشبك الذهبي (رقم ٦٤١٢) يزينه حجر عين الهر المؤلف من ثلاث طبقات ألوانها هي : أسود فأبيض سماوي وأخيراً بني فاتح . والمشبك الذهبي (رقم ١٣٧٥) ، والخاتم الفضي المرصع بحجر عين الهر المؤلف من ثلاث طبقات ذات ألوان طبيعية مختلفة هي البني الفاتح فالأبيض السماوي فالعقيقي اللون (رقم ١٣٢٤٦) .

وهناك ما يسمى بـ (عين النمر) الذي يعتبر نوعاً من الكوارتز .

---

(١) محمد أمين الأكفاني : نخب الذخائر في أحوال الجواهر ص ٥٥ .

(٢) محمد أمين الأكفاني : نخب الذخائر في أحوال الجواهر . ص ١٢

٦ ـ **العوهق (أو اللازورد)** : وهو حجر كريم أزرق اللون ، وأجوده ما كان أشده اشراقاً وأكثره صفاء . وليس له في المتحف الوطني نموذج ، كانت ترصع به عيون بعض التماثيل المكتشفة في سورية مما يضفي عليها جمال التعبير عن الحياة .

الكريستال (أو الزجاج الصخري) : يستخرج من باطن الأرض ويتميز ببياضه الرائع ، وشفافيته النموذجية ، وصلابته الشديدة . وفي المتحف الوطني قرط ذهبي مؤلف من حلقة ذهبية تضم قطعة من الكريستال مبسطة(رقم٧٩٩٤) . أضف إلى ذلك العقود المؤلفة من حبات الكريستال .

اللؤلؤ : وبما ان المتحف الوطني بدمشق يحتفظ بمجموعات من الحلي الذهبية المزينة باللؤلؤ ، لهذا فمن المستحسن التحدث عنه وعن كيفية تولده في بعض الأصداف التي تكثر في الخليج العربي وأخص بالذكر منها بلاد البحرين . وهو عبارة عن جوهر كروي الشكل يتكون بفضل حيوان يعيش داخل صدفتين منطبقتين على بعضها تسميان المحار . وقد ذكر أحد الكتاب[١] ان من عادة هذا الحيوان ان يفتح مصراعي محارته اثناء وجوده تحت الماء ليتغذى فتدخل إلى المحار بعض الذرات الصغيرة من الرمال العالقة بالماء ، وتثير في جسمه ما يجعله يفرز مادة هيلامية ، فتتصلب هذه المادة الهلامية ، وتصبح نواة لحبة كروية الشكل براقة من اللؤلؤ) . وبعدما اطلع الانسان على كل هذا أخذ يقوم بتربية الحيوان الهيلامي ليحصل منه على اللؤلؤ ، حتى انه من المتعذر تمييز اللؤلؤ الحقيقي بدون الاستعانة بتصوير اللؤلؤة بأشعة اكس . ويعتبر خير اللؤلؤ الطبيعي هو اللؤلؤ الصافي العماني الشديد التدحرج والاستواء[٢] . ويصنف الخبراء أنواعه بحسب أشكاله . وقد وجدت الحسان فيه ما يزيد من جمالهن ، فكثر الطلب عليه مما جعل سعره مرتفعاً . ورغم الأخطار التي يلاقيها الغواصون كخطر قنديل البحر والسمك المفترس ، فقد وجدوا في صيده ربحاً مغرياً . وتنسب اسطورة هندية تشكله من دموع فتاة ،ابنة منغولي كبير رفض أن يزوجها من (راجه) كانت قد اولعت به ، فانسحبت إلى جزيرة أمضت فيها بقية حياتها باكية سوء مصيرها ومأساة حبها . وكانت كل دمعة من دموعها المنحدرة من مقلتيها تسقط في الأمواج وتستحيل إلى لؤلؤة ناعمة . وقد أعطته شعوب العالم القديم أهمية خاصة ، اذ انها كانت تعتقد بأن قوى سحرية تنتج عنه ، وان من شأنها أن تحمي ...وانه يجلو العين ويقطع نزف الدم .. الخ[٣]

(١) مجلة قافلة الزيت : العدد الحادي عشر ، المجلد الخامس . ذو القعدة ١٣٧٧ يونيو ١٩٥٨ ص ٣ .
(٢) كتاب التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة تأليف ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري . دمشق ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ ص ٩ .
(٣) نخب الذخائر في أحوال الجواهر : ص ٢٦ وما يليها .

ومن الحلي المزينة باللآلىء المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق نذكر الخاتم الذهبي رقم (١٣٣١٩) تزينه لؤلؤة . والقرط الذهبي (رقم ٧٠٨٠) تزينه ثلاث لآلىء ، والصليب الذهبي (رقم ٤١١٦) تزينه لآلىء صغيرة وكبيرة . والقرط الذهبي (رقم ٨٩٦٨) الذي تتوسطه لؤلؤة، والخزام الذهبي (رقم ٧١٠٢) الذي له سلسال يضم لؤلؤة .

والخلاصة : مما تقدم تبدو أهمية الجواهر والأحجار الكريمة ، وتطور استخدامها منذ اكتشافها كعنصر مما قدمته الطبيعة للانسان ، واستحسانه لها ، وإيمانه بتأثيرها ، وانجذابه نحو ألوانها وسعيه في البحث عنها ، وولعه بجمعها والتزين بها . مما يجعل دراستها دراسة لتاريخ الانسان الفكري والاجتماعي ، والحربي والفني ، فكل جوهرة ثمينة أو حجر كريم هو بمثابة قطعة من الأبدية اسهمت في نشوء الادراك الجمالي ، وتنمية الحس البديعي ، وشجعت على تحمل مشقات السفر ، وأخطار المغامرات في البر والبحر ، كما كانت سبب وئام ، وبداية علاقة ، وعربون صداقة ، ولغة مشاعر .

واكتشف الانسان المبدع كل ما من شأنه أن يجعل من الأحجار الكريمة الخام تحفاً نادرة ، وقطعاً فنية ، هي خير ما تتركه الأجيال الراحلة للأجيال القادمة التي وجدتها بمثابة وثائق تاريخية تعبر عن كل ما من شأنه أن يزين تاريخ الانسان بفصول حضارية ، وينبه فيه الحس الحضاري والادراك الفني ، ويحثه على الاطلاع فالابداع .

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم(١) ، ووجد الأدباء والشعراء مادة جديرة بالوصف ، تليق بالتشبيه بها(٢) فتركوا لنا ما نعتبره من روائع الأدب العربي(٣) ، كما تناقلتها الألسنة

---

(١) ومن الآيات الكريمة نذكر : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) في سورة الرحمن الآية (٢٤) .
(كأنهن الياقوت والمرجان) في سورة الرحمن الآية (٥٨) .
(كأمثال اللؤلؤ المكنون) في سورة الواقعة الآية (٢٢) . ... الخ

(٢) وعلى سبيل المثال نذكر وصف أبي بكر الخوارزمي لرجل بقوله : (انه درة من درر الشرف لا من درر الصدف ، وياقوتة من يواقيت الأحرار لا من يواقيت الأحجار) .
كما ان المسيح كان قد نصح أتباعه (بعدم القاء اللؤلؤ الى الخنازير أي الرجال الفارغين في الذات) .
وقد وصف أحد الأدباء مبسم حسناء بأن (ترتيب الأسنان فيه كعقد اللؤلؤ في مرجانه) .

(٣) فقد جاء في قصيدة أبي البقاء صالح بن الشريف الرندي يرثي بها الأندلس :

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت   كأنما هي ياقوت ومرجان

عبر العصور فذهبت الأقوال أمثالاً سائرة (١) .

وإذا كان الكثيرون من المواطنين قد سمعوا بأسماء الجواهر والأحجار الكريمة دون أن يروها ، لأنها كانت سجينة صناديق فئة قليلة من الأغنياء والمترفين ، والهواة والمتجولين ، مما جعل معرفتهم عنها لا تتعدى كونها نادرة أو جميلة ، وكان ذلك يزيدهم تشوقاً الى رؤيتها ، ورغبة في التعرف عليها ، فإن هذه الأمنية قد تحققت في عصرنا الحاضر الذي أصبحت فيه المجموعات الفنية ملكاً للشعب كله . فمن حق أبناء الشعب أن ينعموا النظر في آثار آبائهم وأجدادهم ، ويتمتعوا برؤية الجواهر والأحجار الكريمة في متاحفهم الوطنية التي غدت بمثابة معابد الجمال .

وبما أن بلادنا ذات أهمية خاصة في إبداع الحلي والمجوهرات ، وترصيعها بالأحجار الكريمة والجواهر الثمينة ، لهذا فإنني أقترح إقامة معرض برعاية الدولة يتيح لكل من يرغب من الصائغين والجوهريين العرب فرصة عرض أجمل مصنوعاتهم ومقتنياتهم كي تطلع عليها الجماهير ، وتتعرف عليهم ، ويتمكن المسؤولون من اكتشاف الكفاءات التي من شأنها أن تشجعهم على الاشتراك في المعارض الدولية المماثلة ، لنبرهن من جديد على أن بلادنا ، التي اشتهرت منذ القديم بإبداع الروائع الفنية ، والتحف الطريفة ، مازالت حريصة على تزويد الانسانية بكل ما يؤكد استمرار إبداع النوع الانساني .

دمشق : بشير زهدي

ومن أبيات احمد بن يحيى ثعلب :

إذا هن ساقطن الحديث لذي الهوى ... سقوط حصى المرجان من كف ناظم

رمين فأصمين القلوب فما ترى ... دماً سائلاً الا جوى في الحيازم

وقال الشاعر : وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

(١) ومن الأمثال السائرة : قد يخرج من الصدفة غير الدرة .
الف مجيز ولا غواص (اشارة إلى صعوبة عمل الغواصين) ... الخ
انظر (مجمع الأمثال) لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني (ج ١) رقم (١٢٩) ورقم (٢٧١) .